نور الايمان

عبد الكريم المدرس

1407 ه

1987م

فهرس الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الإيمان اساسا للأمان والاعمال الصالحة وسيلة لدرجات اهل الإيمان والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين في آخر الزمان وعلى آله وصحبه الواصلين بصحبته اعلى مراتب الرضوان وعلى من تبعهم باحسان الى يوم الدين.

وبعد: فهذه فوائد جليلة وفوائد جميلة في علم اصول الدين، مستخرجة من بحر كلمتي الشهادة، مؤلفة لتنوير قلوب الطالبين ورتبتها على مقدمة وبابين وخاتمة حسنى وافية بمقاصد المسلمين.

وسميتها (نور الإيمان واليقين) وعلى الله نتوكل وبه نستعين:

اما المقدمة ففي بيان الإيمان وعقيدة السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان من المحسنين.

واما الباب الأول ففي ايضاح ما اندرج في الكلمة الأولى من عقايد اهل الدين اعني الإيمان بذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ذات الحكمة والتمكين. وأما الباب الثاني فهو في ايضاح مندرجات الكلمة الثانية مما اخبر به صلى الله عليه وسلم الجامع لسائر اركان الدين.

واما الخاتمة فهي في بيان امور يحسن الانتباه لها من المسلمين.

المقدمة

الإيمان هو التصديق بجميع ماجاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع التسليم اجمالا في ماعلم اجمالا، وتفصيلا في ماعلم تفصيلا، والاقرار به من القادر على التلفظ بكلمتي الشهادة، واما الاعمال فهي ثمرة الإيمان والدليل على ذلك أن الذين آمنوا ودخلوا في الإسلام اعتبروا مؤمنين وكثير منهم لم يدخل وقت مباشرة اعمالهم، وإن عطف الإيمان على الاعمال [1] وارد في كثير من الآيات والعطف ظاهر في المغايرة وانه لو دخلت الاعمال في الإيمان لاستلزم اعتبار ترك الحرام وفعل الواجب ولزم منه كفر من فعل حراما او ترك واجبا وذلك خلاف ظاهر الكتاب والسنة، نعم اذا تحقق الإيمان وتنورت به القلوب فلا شك أنه يحرك صاحبه للعمل فترك مقتضى التكليف لا يكون الا مع الإيمان الضعيف.

واما الاكتفاء في الإيمان باقرار الشخص باللسان فلدلالته على وجود الإيمان في القلب ظاهرا، وقد قال صلى الله عليه وسلم ((نحن نحكم بالظواهر والله يتولى السرائر)) [2].

ولما كان الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مستفاداً من الإقرار بالشهادتين اعتبر ذلك وفرض على من يدخل في الإسلام أن يقول: اشهد ان لا اله الا

---

[1] في الممخطوط "وان عطف الاعمال على الايمان".

[2] ذكر الاستاذ الشيخ أن هذا الحديث اي الذي ذكره في اصل الكتاب انما هو معنى الحديث الوارد في الصحيح، وهو: روى البخاري من حديث ابي سعيد رفعه: اني لم أومر ان انقب عن قلوب الناس.

وفي الحديث المتفق عليه من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلي الله عليه وسلم قال : [انكم تختصمون الي فلعل بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض، فاقضي له على نحو ما اسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئا].

الله وأشهد أن محمد رسول الله.

وبيان الاستفادة أن معنى لا اله الا الله هو انه لا معبود بالحق الا الله، ولما كان المعبود بالحق هو الخالق لكل موجود لان غيره لايستحق العبادة له ظهر منه انه لاخالق الا الله ولما كان الخالق للخلق هو الذات الواجب لان الممكن المستوى وجوده وعدمه يحتاج الى خالق يخلقه فلا يكون [3]خالقا لغيره، ظهر انه لاواجب في الوجود الا الله، فاتضح أن معنى الكلمة الأولى لامعبود بالحق ولا خالق للخلق ولا واجب في الوجود الا الله الموصوف بالكمال المنزه عن النقص.

ومعنى الكلمة الثانية هو أن محمداً العربي القرشي الهاشمي ابن عبدالله بن عبد المطلب[4] رسول من الله الى الجن والانس، والإيمان برسالته يستلزم الإيمان بان جميع ما اخبر به من رسالة الرسل وانزال الكتب عليهم ووجود الملائكة والقضاء والقدر ويوم القيامة وغيرها[5] حق، فالشهادتان تفيدان الإيمان بالاركان[6].

فظهر ان الإتيان بالشهادتين كاف للايمان بوحدة الله وبسائر مايجب الإيمان به، ولا يجتمع ذلك مع الاشراك مطلقا، لان الإيمان الشرعي في الإسلام والاقرار بالكلمتين من الانام اظهار لصفاء الدين المبين والإيمان المستفاد من قوله تعالى ﴿وَمَا يؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [7] ايمان لغوي بمعنى الإذعان الخالي عن التوحيد، لانه نزل في قوم مشركين يجمعون مع الإقرار بالله عبادة اوثانهم والوهيتها. قاله الحسن ومجاهد وعامر وأكثر المفسرين، وصرح به السعد العلاّمة في شرح العقايد النسفية.

---

[3] وردت هذه الزيادة في المخطوط "اي هذا الممكن المحتاج في الوجود الى الخالق".
[4] وردت هذه الزيادة في المخطوط "بن هشام بن عبد المناف".
[5] وردت هذه الزيادة في المخطوط من اركان الإسلام كلها".
[6] في المخطوط وردت العبارة التالية بدل كلمة بالاركان "بأركان الإيمان والإسلام جميعا".
[7] آية (106) سورة يوسف

ثم ان عقيدة السلف كانت مستفادة من الكتاب والسنة النبوية في عهد الصحابة الكرام رضي الله عنهم وقسم من عهد التابعين الى ان ظهرت فالِيةُ[8] الافاعي وجالية الأهواء والأوهام في حلقة درس الامام الحسن البصري رضي الله تعالى عنه من واصل بن عطاء فطرده الامام وقال: قد اعتزل عنا، فذهب يزداد في غيه ويرغب الناس في رأيه، والعلماء يردون عليهم الى ان نشأ الامام علي بن اسماعيل المكنى بأبي الحسن، المشهور بالأشعري، لانتسابه الى جده التاسع ابي موسى الأشعري رضي الله عنه، وذلك في سنة ثلثمائة ونيف من الهجرة وكان العصر عصر ابي علي الجبائي المعتزلي، فرد عليه وعلى اتباعه وسلفه من الاعتزاليين، واتى بالادلة الواضحة اللائحة من ظواهر الكتاب والسنة، ونشر عقيدة الاصحاب الكرام بين الأنام عداءً لاهل البدع والأهواء، وهاجر الى بغداد وتبعه المسلمون واطمأنوا لدروسه وتعليماته، فعادَ لعقيدة أهل السنة

<9>

[8] اي حركة الافاعي

سناؤها وظهر صفاؤها، والّف نحو خمسين مؤلفا نافعا[9]، فصار مجددا للدين المبين في مطلع القرن الرابع، وقد اشتهرت عقيدته هذه بالعقيدة الأشعرية واتباعه بالاشاعرة.

كما ظهر في مثل التاريخ في بلدة سمرقند الشيخ ابو منصور الماتريدي، نسبة الى قرية (ماتريد)، واجتهد وجاهد ايضا في نشر عقيدة السلف الصالحين في تلك البلاد وكثرت اتباعه واشتهروا بالماتريدية، فجزاهم الله تعالى عن المسلمين خيرا، ومن ذكرهما بغير الخير فانه من القوم المغضوب عليهم لا من الغير، وان كنت في ريب من هذا التشريف فانظر الى مالهما من التآليف[10].

<10>

[9] ، [5] ذكرت هذه الترجمة كي يعرف المحبون والمخلصون والصادقون من ابناء هذه الامة أسلافهم والذين كانوا جبالا شامخة رست بها عقائد الاسلام، وأودية واسعة انضمت فيها امة الاسلام، وعيونا صافية هدارة تنهل من ماءها الرقراق القلوب الظمئى وتنبت على ضفافها اشجار الايمان بضلال وارفة، ولازالت انفاسهم المواجة تعيد في حنايا الصدور روح الايمان ورقة العاطفة وبرد اليقين.

وهنا احببت ان اذكر ترجمة عن واحد من تلك القلاع الاسلامية الذين تهشمت دون حصونه ظلمات الأهواء ونزعات الشيطان، ذلك هو الامام ابو الحسن الأشعري ، واذكر هنا كلمة قصيرة للاستاذ الشيخ أبي الحسن الندوي لقيمتها واهميتها واترك بقية الترجمة الى آخر الكتاب.

قال : كان الاسلام في حاجة الى عملاق في العلم والعقل، يتضاءل أمامه حملة راية العلم والعقل في عصره، كما يتضاءل الاقزام، وكما يتضاءل التلاميذ الصغار امام استاذ نابغة وامام كبير. لقد كان الاسلام في حاجة ملحة إلى هذه الشخصية الرفيعة القوية، ووجدت هذه الشخصية المطلوبة في شخص أبي الحسن الأشعري . 148 رجال الفكر والدعوة.

وذكر المؤلف في كتابه هذا أن الإمام ابا الحسن كان مجددا للقرن الثالث. وسأذكر في آخر الكتاب ترجمة للامام ابي منصور الماتريدي.

[10]

وانما نبهت عليها لأنهما كانا من اهم الوسائل لاحياء عقيدة المسلمين على ما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله تعالى عنهم فيجب شكرهما على تلك الانعام، الا ترى أن الله تعالى أمر بشكر الوالدين عطفا على شكر ذاته على نعمة التربية والرعاية فقال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [11] وقال: ((من لم يشكر الناس لم يشكر الله)) [12] والحديث صحيح، فعليه ينبغي شكرنا لكل من ابدى لنا قدسية الشعور واهدى الينا قبسا من النور، وأفضلهم الحبيب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان وسيلة

<11>

---

[11] آية (14) سورة لقمان.

[12] رواه ابوداود جـ 4/255/4811 واحمد جـ 2/258/295/302/303/461/492. من طريق الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة. وفيه زيادة [.. عز وجل]. ورواه في جـ 3/32/74. من طريق ابن أبي ليلى عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري. في جـ 3/32 باللفظ المذكور. ورواه في جـ 4/278/375 من طريق منصور بن ابي مزاحم ثنا ابو وكيع الجراح بن مليح عن أبي عبد الرحمن عن الشعبي عن النعمان بن بشير. وفيه زيادة [من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، التحدث بنعمة الله شكر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب]. ورواه عن الاشعث بن قيس جـ 5/211/212 من طريق وكيع عن سفيان عن سلم بن عبد الرحمن عن زياد بن كليب عنه. بلفظ [لايشكر الله من لايشكر الناس]. ومن طريق آخر: ثنا بهز ثنا محمد بن طلحة بن مصرف عن عبدالله بن شريك العامري عن عبد الرحمن بن عدي الكندي عنه. بلفظ [إن أشكر الناس لله عز وجل اشكرهم للناس]. ومن طريق آخر: ثنا محمد بن فضيل عن ابن شبرمة عن ابي معشر عنه بلفظ [لايشكر الله من لايشكر الناس]. ومن الطريق الذي ذكره ابو داود رواه الترمذي ايضا بلفظ آخر وقال: هذا حديث صحيح جـ 3/132 بهامش تحفة الأحوذي. ط الهند. ورواه الطبراني من طريق. حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا يحيى بن آدم ثنا اسرائيل عن ابي اسحاق عن جرير. جـ 2/356/2501. المعجم الكبير.

لاخراج الناس من الظلمات الى النور، ثم اصحابه الكرام الذين سقوا بمياه مساعيهم شجرة الإيمان في الصدور، ثم الأئمة المجتهدون الناشرون لأحكام الإسلام إعتقادا وعملا، ثم الأساتذة الصالحون الذين تنورت القلوب بدروسهم وانوار نفوسهم مدى الأيام، فان الإسلام دين الوفاء ورعاية الحقوق لادين الجفاء والعقوق، فاليكم ماتلوته عليكم.

والله ولي التوفيق..

الباب الاول

في معني الكلمة الاولى وفيه فصول

<13>

الفصل الاول

في وجود الصانع للعالم

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يتَبَينَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [13].

من تفكر في نفسه وما اشتمل عليه شخصه من الأجهزة الدقيقة والقوى العاملة النافعة اللطيفة المودعة في رأسه وما حواه من خريطة الدماغ ومايتفرغ منه الى السمع والبصر والأنف والفم والاسنان واللسان والحنك والبلعوم والحلقوم وغيرها ثم نزل الى الصدر والقلب والجنب والاضلاع وماحوته من الكلية والكبد والطحال والمرارة والمعدة وماوراءها من الأمعاء وسائر ماهنالك، ثم تفكر في تركيب جسده من العظام والغضاريف والأعصاب واللحوم والدماء الصافية المتكونة بكيفية دقيقة وجريانها وتوزيعها إلى اجزاء الجسد في المجاري اللطيفة الرقيقة، ثم أَمْعَنَ فيما أُودِعَ في قوة الفكر وخُدامه من الإحساس والتخيل والتوهم والتعقل الحاصل بالعقل وتصوراته ومراتب تصديقه من الظن والتقليد والجهل المركب واليقين وماتتصف به من الحياة والعلم والشجاعة والغيرة والجبانة والأمانة والارادة والقدرة والحب والبغض والكراهية واللذة والألم والنشاط والكسل والعجر والملل والقبض والبسط والانشراح والأحزان والأفراح وماشاكلها، ودقق النظر في امتيازه بتشخصيات[14] معينة من الشكل والطول والقصر ولوامح الوجه والبصر واللون والقيافة والخطوط البدنية حتى على الكف والانامل

<15>

---

[13] آية (53) سورة فصلت.

[14] في المخطوط "بتشخصات"

والبنان ونبرات صوته من الخشونة والحنان وكبقية الامتياز الواصل الى حَد الاعجاز تعجب جداً فيما أودع فيه من اسرار الإبداع وتحير واندهش وتشوش وتنبه بالاخرة وتوجه الى الإيمان بالصانع العليم الخبير القدير البصير. هذه[15] من ناحية النفس.

واذا نظر الى الآفاق من الصحاري والوهدات والوديان والاطلال والجبال وماخلق فيها من المعادن والعيون والأنهار واصناف الأشجار والنباتات الماكولة وغيرها والازهار المعجبة للأنظار ومايعيش من الحيوانات الانسية والوحشية السليمة المسالِمَة والضارية الظالمة والحشرات السمامة !!!هل يحتاج الى فاصلة هنا وفيها انظمة خاصة يتحير منها العقلاء، واذا نظرت الى البحار ومافيها من الحيوانات وانواع الاسماك والطيور والجواهر واللألي وسائر المنافع سَبَحْتَ في بحر خيالك الواسع وسَبَّحْتَ ربك الصانع.

واذا رفعت الرأس الى الهواء وتموجها وانواعها وآثارها وبرودتها وحرارتها وهياجها والى السماوات ودققت النظر في الاثير والبرق والنجوم الشارقة والسيارات البارقة وتفكرت في حركات السيارات حول اقطارها ودورانها على مداراتها وموازينها المستمرة والجواذب الموجودة فيها ونَظَرتَ الى الشمس ذاتِ الاشعاع وعلمت زيادة حجمها على كرة الأرض بنحو ميليون!!!مليون، والى كوكب الشعرى التي يقال انها تزيد حجما على الشمس كذلك وترى صغيرة لبعدها عنا واذا نظرت الى المجرة كحزام للفلك او اختلاط انجمها كخطوط القوافل المزدحمة المتلاحمة ودوام نظامها باستمرار القرون تقف وقفة الانسان الفلكي البارع في علمه الواسع مناديا اصحاب العقول السليمة والافكار المستقيمة: أيها الناس ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [16]؟ فيجيبونه بالقول الجامع للعقل والشعور

[15] في المخطوط "هذا"

[16] آية (10) سورة ابراهيم.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[17].

واذا اردت الأدلة التي تزيدك بصيرة في العلم بوجود الله تعالى فخذ الأدلة التالية:

(الاول): انه لايخلو الحال عن أن يكون جميع اجزاء هذا العالم واجب الوجود او ممكن الوجود او بعضه واجبا وبعضه ممكنا. والاحتمال الاول باطل، لقبول اجزائه المشهودة للفناء، فكم من جبال تدمرت ووهدات تغيرت ومياه تبخرت. وكذلك الاحتمال الثالث، اذ لا مزية لبعض الاجرام على بعض بعد تركيبها[18] من الجواهر المتماثلة، فبقي الاحتمال الوسط، وهو ان الكل ممكن الوجود، اي يستوي وجوده وعدمه بالنظر لذاته، ولا شبهة في أن ما استوى وجوده وعدمه محتاج الى صانع يرجح وجوده على عدمه.

(الثاني): أن كل ماشاهدنا وتتبعنا حاله وجدناه اضعف من الانسان لامتيازه بالعقل المتطور الذي يستولي به على غيره، ووجدناه عاجزا عن حماية نفسه من الاجل او من الضعف المانع عن العمل ومن لم يقدر على محافظة نفسه كيف يقدر على ابداع نفس لغيره﴿يا أيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيئًا لَا يسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[19].

(الثالث): أن العالم باجزائه بارضه ومائه وهوائه وسمائه وشمسه وقمره ونجومه وكواكبه نجده مسخرا للعمل والخدمة، ولكل بعض وظيفة خاصة يستفيد منها البعض الآخر، والعقل السليم لايقبل أن يكون الخادم المسخر

[17] آية (1) سورة الانعام.

[18] في المخطوط " تركبها"

[19] آية (73) سورة الحج.

للطاعات خالقا للارض والسموات.

(الرابع): أن لهذا العالم نظاما مملوء من الحكمة، والاتقان وذلك معلوم لاهل الفكر من الانسان، وذلك النظام محتاج الى صانع حكيم مسيطر على رعايته وادامته، لان أي سيارة خرجت عن مدارها تَمزّقت واية مجموعة لم يكن عليها قوة تَفرّقت وذلك الصانع لايجوز ان يكون فاعلا بلا قدرة وشعور فان النظام لايحصل من اللاشعورية فوجب الإيمان بالصانع الحي والعالم القادر ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [20] والقول بانها الطبيعة من اغلاط الطبيعة، لان المراد بها ان كان نفس العالم اي انه هو بنفسه اثّر في نفسه ومايحصل منه لزمه أن يقول انه قبل أن يوجد كان موجودا فاوجد نفسه وابدع نظامه وحرسه، وذلك من المستحيلات، وان كان المراد بها قوة عارضة للعالم فهو افسد من الأول، لان القوة صفة تحتاج الى الموصوف، فكيف تؤثر في الموصوف ونظامه المعروف. وان كان المراد بها قوة خارجة عن العالم موصوفة بالكمال فهو المطلوب وهو الرب المتعال. ونعم ماقالوا هنا:

طبيعةٌ طائشة لاتَعقل	إبداعها لغيرها لايُنقَل
فصانع العالَمِ حي عالِمٌ	في لحظةِ عن خلقه لايغفل

والحق أن وجود الصانع العالم القادر المختار لهذا العالم بديهي عند صاحب العقل السليم، فان دلالة الآثار على المؤثر من باب البرهان، والله هو الهادي للعباد إلى الحق والرشاد والأمان.

(تنبيه) لا اعتبار بما يقوله بعض الناس من انا لانعرف حقيقة الاله والازلية والابدية فكيف نصدق بوجوده. وذلك لانهم لايعرفون حقيقة

[20] آية (14) سورة الملك.

ارواحهم مع انهم يعلمون انها موجودة للفرق بين الاحياء والاموات.

ومثلهم كمن يدق أحد الباب عليه ويقول لا اهتم بدقّه لاني لا اعرف الشخص الذي يدقه، اذ بامكانه ان يذهب ويفتح الباب، وهذا البعض يمكنه أن ينظر الى الآثار ويفتح حجابَ الغفلة عن قلبه ليدرك بالبصيرة وجود الحي القيوم، نعم انه تعالى لايكتنه، لان عقولَنا وقواها محدودة متناهية والشيء المحدود المتناهي لايدرك حقيقة اللامتناهي، ولا يدل ذلك على عدم الاشياء البعيدة عنا، وهو ظاهر، كما أن احساس البصر على قدر قوته وعدم احساسه بالاشياء الغائبة ظاهر، فقل في الإيمان بالله تعالى الظاهر بالأثار والباطن ذاتاً: إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وانا من المؤمنين وما انا من المشركين...

الفصل الثانى

في صفاته تعالى

والسلبية[21] منها خمس تدل عليها النصوص، وهي الوحدة والقدم والبقاء ومخالفة الحوادث والاستغناء عن الغير، ومعناها عدم التعدد وعدم سبق شيء عليه وعدم عروض الفناء وعدم مماثلة الحوادث وعدم احتياجه الى الغير باي وجه من وجوهه.

والثبوتية هي الحياة[22] والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، وقد رمز الى تلك الصفات بالحروف الأوائل من المصرع الأول من البيت الاول وبجملة جميلة في المصرع الأول من البيت الثاني من هذين البيتين:

قد برقت وحدة ملك الأول كالشمس اذ تطلع فوق الجبلِ

(أحقَ سَبْعَكَ) القديمة التي لازلت موصوفا بها من أَزَلِ

والدليل على وحدته تعالى نقلا نصوص كثيرة:

قال تعالى ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [23] وقال ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [24].

[21] الصفات السلبية: سلبية في المعنى وان كانت ثبوتية لفظا اي انها تثبت ما في لفظها من حيث الوضع. فلفظ البقاء دال على صفة وهي - البقاء - ودال على نفي الفناء الذي هو ضد البقاء.

[22] في المخطوط تم اعتماد هذا الرسم " الحيوة"

[23] آية (63) سورة البقرة.

[24] آية (16) سورة غافر.

وعقلا ادلة قطعية:

(الاول) انه لو وجد الهان لكانا كاملين او ناقصين او احدهما كاملا والاخر ناقصا، والناقص لايستحق الالوهية، والكامل هو الـمُكتفى به وحده.

(والثاني) انه لو كان الهان كاملان لامكن التمانع بينهما ولو امكن التمانع لزم المحال.

اما المقدمة الأولى فلان امكان التمانع من مقتضيات وجود الآلهين الكاملين، وحينئذ لاشك يمكن أن يريد احدهما وجود شيء والآخر عدمه.

واما المقدمة الثانية فلانهما أن توقفا عن التأثير لزم عجزهما معا، وان توقف احدهما وعمل الآخر لزم أن يكون العامل غالبا والعاطل عاجزا، وعجز الآله محال فتعدد الآلهة الكاملة محال.

(والثالث) انه لو وجد آلهان لامكن أن يريد احدهما وجود شىء والاخر عدمه، فان تحققا لزم اجتماع وجود الشيء وعدمه، وان انتفيا لزم عجزهما، وان تحقق احدهما دون الآخر لزم أن تنحصر[25] الألوهية في الذي وجد مراده وعجز الآخر.

واذا[26] مشينا على المعتاد من اقتضاء التعدد والتمانع. نقول لو كان في الوجود آلهة لتمانعوا، ولو تمانعوا بان يريد بعض نظاما وآخر غيره لزم فساد السماوات والارض وعدم بقائهما على النظام الثابتز

وقوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [27] مبني على ماهو الغالب من التمانع عند التعدد.

ويمكن حمله على ماقررنا قبل، بان يقال لو كان فيهما آلهة الا الله لامكن التمانع بينهما ولو امكن التمانع امكن

[25] في المخطوط "ينحصر"

[26] في المخطوط "هذا اذاانتهجنا نهج البرهان واذا"

[27] آية (22) سورة الانبياء

عجزهما ولو امكن عجزهما لزم أن لا يكون شيء منهما الها فلم يوجد خالق للعالم ولم توجد السماوات والارض وهذا هو المراد بفسادهما.

واما الدليل على قدمه تعالى فلانه لو كان حادثا لكان له مُحدث، ولزم احتياجه اليه، فلم يكن الها.

واما البقاء فلان القديم يمتنع عدمه.

واما عدم مماثلته للحوادث فلانه لو كان له مماثل لعرض عليه مايعرض على مثله وعرض على مثله ماعرض على ذاته، فلزم انقلاب الواجب ممكـنا والممكن واجبا، فاذا امتنعت المماثلة امتنع أن يكون الواجب تعالى جوهرا او جسما او عرضا أو مستقرا في حيز او مكان لا في الأرض ولا في السماء ولا فيما ورائهما.

ولا يمكن أن يكون له جهة من الجهات لاختصاصها بما يحيط به حدود.

فما ورد من آيات الصفات والسنة النبوية من نسبة الوجه والعين واليد والاصبع والجنب والقلب والاستواء إلى السماء او على العرش فكله كناية عن نحو الغلبة والاستيلاء وشمول العلم والقدرة والمراقبة الكاملة حسب محاولات اهل العرف العام وليس من المتشابهات، كما افاده الامام الغزالي رحمه الله، وعلى فرض كونها منها وجب تأويله بما يصلح للواجب او تفويضه الى العليم الخبير مع الإيمان بثبوت المعاني المناسبة السالمة له تعالى، ولا يجوز الانحراف عن احد هذين الوجهين.

والقول بوجوده تعالى في السماء او استوائه على العرش كالقول بوجوده مع كل انسان في قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَينَ مَا كُنْتُمْ﴾ [28] فاذا أُوِّل هذا وجب

---

[28] آية (4) سورة الحديد.

تأويل ذلك، والا فأين كان الذات قبل العرش والسماوات.

والقول بقدم السماء والعرش من اخطاء اهل الفرش، وذلك خطأ عظيم.

واما استغناؤه عن غيره فلان الافتقار احتقار، وهو مستحيل على الواحد القهار.

ونحن اهل السنة نقول:

إنا علمنا الذات ذا وجود	مهيمنٍ عز عن الحدودِ
وعجزنا عن دركه بكنهه	لنا كمال وافرٌ لاينتهي
وحسبنا علمٌ شريف انجلى	بواجبِ الوجودِ جل وعلا
ولا تَمِل للجوهر المُجرد	ولا لبَرق او أثير شارد
فانه الطَفُ من خَيالِنا	فما لكم علمٌ به ولا لنا

وأما حياته تعالى فلان الموت أخو العدم المحتوم لايليق بالله الحي القيوم.

واما علمه تعالى فهو صفة كاشفة للمعلومات كلية او جزئية. مفهوما او مصداقاً، أزلا وأبدا ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ [29]، وليس مختصا بالجهريات فانه يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور، وليس علمه تعالى حصوليا كعلم الكاسب، بل حضوري لازم لذاته الواجب، وكفي في اتصافه بكل المعلومات علمه بذاته الكامل فانه يعلم انه هو المبدء لكل شيء مقصود وخالق لكل موجود وهذه الصورة العلمية عين علمه الأزلي المحقق لايختلفان الا بالاعتبار، فملاحظة الجزئيات المفصلة حتى يجري فيها التطبيق بعيد عن اهل الفضل والتوفيق.

كما أن علمه تعالى ليس قابلا للذهول عن بعض المعلومات او نسيان له[30]،

---

(29) اية (3) سورة سبا.

(30) لم ترد لفظة "له" في المخطوط

فانهما من النقصان ولا يناسب الخفاء والغياب. فان اشعاع علمه الازلى يتلالىء الى مالايزال في الماضي والحال والاستقبال أي بالنسبة الينا، والا فلا ماضي عنده ولا حال ولا استقبال، فان اعتبار الزمان لغير الزماني محال.

وإما أرادته تعالى فهي صفة تقتضى تخصيص احد المقدورين بالوقوع حسب علمه بالحكمة، كتخصيص الجائع احد الرغيفين المتساويين من كل جهة بالتناول، والسالك احد الطريقين المتساويين بالسلوك، وهذا الترجيح لايحتاج الى ترجيح اخر، وكفى مرجحا علمه بالخير فيه.

واما قدرته فهي صفة تؤثر بايجاد ماعينته الارادة في الأزل حسب علمه بالحكمة في وجوده في الزمان والمكان المعنيين، ولما كان تأثير القدرة تابعة للارادة المتابعة للعلم بالحكمة البالغة لايبقى مجال للسؤال عن وجه تعلق الارادة باحد الجانبين وتنفيذ القدرة لذلك المرجح، لان الأثر تابع اللإرادة التابعة للعلم كما قلنا ولا نقص في شيء منها، على أنه لو غير المجري لعاد السؤال كما تسمع وترى، ولذلك لايسئل عما يفعل، فالعلم الأزلي سوّى جدولا للتعليقات اللايزالية يسوي المرادات كلا في وقته واليه يشير قوله تعالى ﴿كُلَّ يوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [31]، فان كان المراد من اعمال ذاته الجليل فذاك، وان كان من مكسوبات العباد فيكون تعلق قدرته به تحقيقا لما تعلق به علمه الأزلي الحاكي عن صرفهم اختيارهم له، فان الباري تعالى له العلم بافعال العباد وهو مرآة كاشفة لما يتوجه اليه اختياراتهم فلذلك قال تعالى ﴿وَهُمْ يسْأَلُونَ﴾ [32].

[31] آية (29) سورة الرحمن.
[32] آية (23) سورة الانبياء.

واماصفة السمع له تعالى فهي قوة تتعلق بالمسموعات عند وجودها فتكشف المسموعات من الأصوات ونبراتها المتمايزة اينما كانت حتى يسمع اصوات ارجل النملة كما يسمع الفارس صوت قوائم فرسه اذا ركض به في صحراء صخرية ويسمع دعاء المضطرين ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [33].

واما صفة بصره فتتعلق بالمبصرات كبيرة او صغيرة ذرة فما دونها، ولا يمنع ابصاره تعالى لها كونها في غيابة الُجبِّ او وراء الحجب، فالغيب والشهادة بالنسبة اليه متساويان فالسمع والبصر أمران ممتازان عن الادراك الحاصل بالعلم، فهما صفتان ورد بهما الكتاب ونؤمن بظاهره وهو الصواب.

واما صفة الكلام فثابتة، له تعالى باجماع الأمة، وقد تواتر النقل عن الرسل الكرام عليهم السلام أن الله تعالى متكلم، مع القطع باستحالة التكلم له تعالى من غير ثبوت صفة الكلام له تعالى.

فهل الكلام الثابت له صفة نفسية قائمة به تعالى وهي من غير جنس الحروف والاصوات لكنها منشأ للكلام المعلوم واللفظ الملفوظ المرسوم، او انه عبارة عن الكلمات القديمة المعلومة له ازلا، او انها الكلام المنقوش برقومه في اللوح المحفوظ أو الملفوظ الذي نزل به جبريل عليه السلام على الرسل الكرام.

والحق الذي يجب تقريره هو ان لفظ الكلام مشترك بين الأمور الثلاثة ويطلق على كل منها حقيقة.

اما على الأول فلان تلك الصفة النفسية كمال له تعالى وعدمه نقص، لانه خرس نفسي وعجز عن ملاحظة المفاهيم اللائقة[34] بالالقاء والتنزيل.

واما الثاني فلأن اطلاق الكلام عليه شائع عند الأدباء والخطباء، قال

[33] ابراهييم (39)

[34] في المخطوط تم اعتماد هذا الرسم " اللايقة"

الاخطل:

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وقال عمر رضي الله عنه: ((اني زورت في نفسي كلاما)) [35].

وتقول لصاحبك: إنَّ في نفسي كلاما اريد ان اذكره لك.

واما الثالث فلان المرقوم في اللوح المحفوظ والمنزل به جبريل عليه السلام والمتحدى به من الرسول الجليل هو ذلك الكلام اللفظي، وانكار كونه كلام الله تعالى كفر وخروج عن الإسلام.

ثم لاشك أن الصفة النفسية التي ليست من جنس الحروف والاصوات قديمة وكذلك الكلمات الموجودة في علم الباري تعالى التابعة لكلامه النفسي، لأنها معلومة للبارى تعالى ازلا ككلام سائر المتكلمين، ولا معنى للقول بحدوث مارُقم في اللوح ونزل به جبريل عليه السلام على الرسل الكرام بعد أن علمنا يقينا انها هي التي كانت في علمه تعالى ازلا.

فان قيل نحن لانعترف بالكلام النفسي ونقول ان كلامه تعالى عبارة عن الألفاظ المنزلة مع جبريل عليه السلام.

قلنا: انكار الكلام النفسي يوجب الخرس النفسي وهو نقص لايجوز في حقه تعالى، وثانيا انكم معترفون بان كلمات الله تعالى معلومة له ازلا وتبقى في علمه ابدا، فلا بد أن تكون تابعة لأصل يناسبها، كما أن المعلومات تابعة للعلم والمرادات تابعة للارادة والمقدورات تابعة للقدرة والمسموعات للسمع والمبصرات للبصر فكذلك الكلام اللفظي تابع

---

[35] حديث : كنت قد زورت مقالة اعجبتني اردت ان اقولها ...) هذه قطعة من حديث طويل رواه الامام احمد جـ1/56.

لصفة الكلام النفسي القديم وهما قديمان.

فان قيل:

سلمنا ذلك ونحن نعترف بصفة الكلام النفسي، ولكن نكتفي بها الى وقت انزال الآيات الى الرسل، والقدرة على الانزال موجودة وحسبنا ذلك.

قلنا: مادام الاعتراف ثابتا بوجود الكلمات في علمه الازلي فهي موجودة في مرتبة الارادة والقدرة والعلم، ولما لم تكن تابعة للارادة والقدرة والعلم وجب تبعيتها للكلام النفسي وكونها ازلية معها، فهي عبارة عن صورة الالفاظ التابعة لها فقط، وكما أن المرادات والمقدورات معلومة له تعالى وليست ناتجة من العلم ولا تابعة له فكذلك الالفاظ الناتجة من صفة الكلام النفسي معلومة له تعالى وصورتها العلمية قائمة به وهي ليست تابعة له بل تابعة للكلام النفسي، وتلك الكلمات عبارة عن جميع مانزل على الأنبياء الكرام وما الهموا به، ومثلها الأحاديث القدسية النازلة على الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك كل كلام ملقى منه تعالى الى الملائكة والانس والجن ممن يناسبهم الالهام والتربية، ويشير الى ذلك قوله تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [36].

فاعلموا هذه الامور واشرحوا بها الصدور وتيقنوا أن صفات الباري تعالى لاتوافق صفاتنا الا في الاسم فان صفاتنا حادثة وتقبل القوة والضعف والفناء وحياتنا تحتاج الى البنية والاجزاء وعملنا يحتاج الى المخ والدماغ والقلب ووسائل الضبط لمعلوماته وارادتنا التابعة له كثيرا ماتقع في خطأ التخصيص لغير ماينفع ويفيد وسمعنا وبصرنا يحتاجان إلى مواد وحجب

---

[36] آية (109) سورة الكهف.

لطيفة واعصاب.

وصفات الباري تعالى ليست كذلك فانها قديمة وباقية ولايرد عليها الضعف ولاتقبل المعونة من الغير، فآمنوا بان الصفات الكمالية ثابتة له تعالى بدون حاجة الى اي شيء، ولا تظن ان الكلام بدون اللسان والالات ممتنع فان المسجلات تضبط الكلام والكلمات والاصوات والنبرات واذا سمعت هاتفا يناديك من السماء فلا ترى انسانا يحرك لسانه، ولا تحتاج [37] تعالى الى اجزاء ولا ارادته الى دافع غير الادراك ولا قدرته الى اسباب توجب الحركة[38] ولا علمه الى مخ ودماغ ولا سمعه الى صراخ[39] ولا ابصاره الى العروق الواردة في خريطة الرأس ولا الى حدقة واجفان ولا كلامه الى هزة حلقية او تصويب من الحلق الى اللسان، ويشير الى ذلك قوله تعالى ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [40].

توجيه للمسلمين الأذكياء إلى فائدة جليلة

وهي انا معاشر المؤمنين.. نعتقد بجميع الصفات السلبية والثبوتية لذاته تعالى ونعتقد انها من لوازم الذات الواجب الوجود كالفردية اللواحد، ولا يتصور الذات الموصوف بالكمال بدونها كما لايتصور تلك بدونه، وهذا المعنى هو الذي افاده الامام ابو الحسن الأشعري رضي الله عنه اصحابَه.

واما الذي اشتهر بين المحصلين من أن الصفات لا هو ولا غيره، وان كان صحيحا على ارادة انها ليست عين الذات الواجب ولا غيرها بقصد تفسير الغيرين بموجودين يجوز انفكاك كل عن الأخر فهو من عبارتهم لا من عبارة الامام رضي الله عنه.

[37] تم اعتماد هذا الرسم في المخطوط " حيوة "
[38] في المخطوط " الحراك"
[39] في المخطوط "صماخ"
[40] آية (11) سورة الشوري.

فاذا ظهر لنا ذلك المعنى السليم فلا نتكلم بعينية الصفات ولا بغيريتها لكونها من فضول الكلام ودسائس الأوهام، فان حقيقة الصفات من لوازم الذات كما علمت وليست ذوات حتى يلزم تعدد القدماء، فخذوها وكونوا من الشاكرين.

<30>

الفصل الثالث

في افعاله تعالى

ويجب هنا الإيمان بامور:

الأول: أن كل حادث في العالم فهو من اثر تأثير الباري ومِن خلقه وايجاده، سواء مالم يكن فيه علاقة الغير، كخلق الأرض والسماوات ومافيهما وماعليهما، او وجدت فيه علاقته كالافعال الاختيارية للانسان كالقيام والقعود والركوع والسجود والاكل والشرب والبطش والضرب.

والدليل على ذلك نقلا آيات كقوله تعالى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ﴾ [41] وقوله ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [42].

وعقلا أدلة كثيرة ايضا منها:

انها لو لم تكن مخلوقة لله تعالى لكانت مخلوقة للعباد، ولو كانت مخلوقة لهم لكانوا عالمين بما يحتاجون اليه في ابداعها من مَد الاعصاب وتحريك العضلات ومقدار مسافة الخطوات وغير ذلك من الأحوال، واللازم باطل. وليس ذلك الا لجهلهم بها، وليس الجهل من الذهول لانهم لوسئلوا وتعمقوا النظر فيها ماوصلوا الى العلم بها.

ومنها انها لو كانت بخلقهم لوجدت على أحسن مايرومه ويقصده مع ان الامر بخلاف ذلك.

---

[41] آية (62) سورة الزمر.
[42] آية (96) سورة الصافات.

ومنها[43] انه لو كان خالقا لها لعلم نتائجها وما يحصل منها ولو على وجه الاجمال.

والثاني: أن الأعمال الحادثة من العباد فيها دخل لمقاصدهم ومكاسبهم، يعني ان كسب العبد شرط اعتيادي لخلق الله تعالى له ذلك الشيء، والا لم يكن لترتب الثواب والعقاب عليه وجه معلوم، وذلك الدخل بديهي، للفرق الواضح بين حركة الانسان الى مايريده وبين ارتعاشه وتزلزل اعصابه بالصورة الاضطرارية وبين التوجه الى المرغوب والتولي عن المرهوب. وذلك الكسب مفسر عند الامام ابي الحسن رضى الله عنه بان الله خلق العبد حيّا صاحبا للحس والحركة وعالما بالامور النافعة والضارة وحائزا لقوة الميل والشوق الداعية الى الملذات والمرغوبات والدافعة للمكروهات.

وهذا الميل يبعثه الى توجهه نحو الخير عنده وتنفره عن الشر وخلق فيه قدرة يصرفها الى المراد وينجزه لولا وجود مانع لها ولكن الله تعالى لما استأثر ذاته الفعال بخلق الذوات والاعمال فهو يخلق له ذلك المراد ولايخلي العبد يوجده، فكون العبد محلا لما ذكرنا كاف في نسبة الكسب اليه ويثاب ويعاقب عليه.

وعند الامام ابي منصور الماتريدي رضي الله عنه الكسب عبارة عن توجيه العبد قصده الى مراده، وذلك موكول اليه، فقد قال تعالى ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [44] وقال ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيهَا﴾ [45].

---

[43] وردت هذه الزيادة في المخطوط " انه لو كان خالقا لافعاله لابدعها على احسن مايُرام وليس كذلك، ومنها"

[44] آية (286) سورة البقرة.

[45] آية (15) سورة الجاثية.

والثالث: أن كل مكسوب للعبد لما كان مخلوقا الله تعالى كان داخلا في إرادته لانه لايجري في ملكه الا مايشاء وكل ماخلقه وشاءه نافعا او ضارا وخيرا اوشرا للعباد، ففعله منه تعالى حسن والرضاء به من حيث اأنه فعله واجب.

ووجوده بارادة الباري وايجاده حسب علمه لايخرجه عن كونه اختياريا للعبد لان الله تعالى اوجده حسب ارادته، وارادته له بحسب علمه في الأزل باحوال العبد فيما لايزال، يعني أنه تعالى يعلم في الأزل ان عبده الفلاني بعد تزويده بالعقل والحواس وتأييد عقله بارشاد الرسول والتوجيه المعقول يختار الجانب المرغوب لله او المكروه عنده، فيكون علمه الشامل مرآة لكل مايريده العبد ويختاره، فيتعلق علم البارى تعالى وادارته وقدرته بذلك العمل على ذلك الوجه فان كان خيرا فذاك وان كان شرا فلا يلومن إلا نفسه.

والامر الرابع: الإيمان بان الله متفضل بالخلق والايجاد وليس فعله بوجوب او بايجاب، لانه هو الخالق لكل شيء، فما هو الواجب عليه ومن الذي يوجب عليه، غير ان افعاله متقنة محكمة فانه احكم الحاكمين.

ومن افعاله التي من بها على عباده الهداية الى الحق ومايرضى به، كما ان من افعاله اضلاله لمن شاء ضلاله، على معنى خلق الهداية والضلال، اما الهداية بحقه بيان طريق الحق والدعوة اليه فيجوز نسبته الى القرآن كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يهْدِي لِلَّتِي هِي أَقْوَمُ﴾ [46] والى الرسول كما في آيات، وكذا مقابلها اعني الاضلال بحق[47] الدعوة الى طريق الضلال فانه ينسب الى الشياطين من الانس والجن كما قال: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [48].

[46] آية (9) سورة الاسراء.

[47] في المخطوط "بمعنى".

[48] آية (116) سورة الانعام.

ولكنه ممايجب ان يعلم ان الله رؤوف رحيم لايضيع عمل عامل ولاسعي ساعٍ ولا ايمان مؤمن، فيقول: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [49]، ويقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [50] فلم يضل ولن يضل أحدا الا انتقاما في مقابلة عناده واستكباره وعدائه للحق واستمراره على الفسق، قال تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [51] فمن اجاب دعوة الحق وارشاد الرسول ومواعظ ورثته من العلماء العاملين فقد اهتدى ونجا، ولا يضل قطعا، وهذه سنة الله تعالى في عباده ولن تجد لسنته تبديلا.

والامر الخامس: أنه يجوز لله تعالى أن يكلف عباده بما يطيقون وما لايطيقون، ولكنه لم يكلف احدا بما لايطيقه فقد قال ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [52] الآية، بل وَسَّع المجال فيما يطيقة العبد الى اليسر عند المشقة والعسر، فشرَّع الرخص عندها ورَفَعَ الحرمةَ عند الإضطرار، وكل ذلك تيسيرا على العباد.

والأمر السادس: الإيمان بان الله تعالى قادر على إيلام الانام بدون اجرام، كابتلاء الاطفال والعجائز بدون تطبيق الانتقام، وله تعذيب العبد المطيع بدون آثام، ولكنه اخبر بان من آمن وعمل صالحا سوف ينال المثوبة والاكرام.

---

[49] آية (22) سورة الدهر.
[50] آية (143) سورة البقرة.
[51] آية (26) سورة البقرة.
[52] آية (286) سورة البقرة.

والأمر السابع: أنه لا يجب على الله تعالى رعاية ماهو الأصلح للعباد، فانه هو المتصرف المطلق وبيده مقاليد الأمور فيؤتي الملك من يشاء وينزعه عمن يشاء، وفي هذا الموضوع ردَّ الامام ابو الحسن الأشعري رضي الله عنه على ابي عليّ الجبائي المعتزلي وأَبْطَلَ ما اعتقده وبَهَتَهَ، وانّ التوفيق وهو تيسر اسباب الخير لطف منه تعالى.

الأمر الثامن: أن النظر في معرفة الله تعالى واجب، وقد أوجبه الله تعالى، فالوجوب شرعي ودليله من النصوص متوفر، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [53].

والعلم ناتج من النظر التابع للقصد المتوجه إلى المقصود المعبود الخالق الواجب الوجود، وبما أن الله تعالى لايكلف احد الا بما في وسعه يجب على المكلف النظر حسب طاقته، سواء كان نظرا عاميا يستدل باثر الاقدام على الواجب العلاَم اونظرا علميا كاستدلال العلماء بما في الأنفس والآفاق، فلا يبقى حينئذ مكلف غير ناظر، فاذا اهمل شخص ما امكنه واكتفى بما يسمعه فذلك لاينفعه، وعليه يحمل ماروي عن الامام الأشعري رحمه الله من عدم الاكتفاء بايمان المقلدين[54]، والناس يظنون أن عامة العقلاء مقلدون، وليس كذلك فان كل واحد منهم عنده نوع نظر ثاقب، وان لم يكن على منهاج المتفلسفين، وعندهم ايمان راسخ كالطود الشامخ لايتزلزل بالزلزال، وذلك اقوى من ايمان بعض العلماء الذين

[53] آية (19) سورة محمد صلي الله عليه وسلم.

[54] آي المقلدين في قضايا الايمان واركانه.

يتوجهون إلى الاستدلال.

نعم من لم يبلغه نداء الإسلام من اهل الفترة الذين عاشوا بلا داع ووازع وارشاد نافع فهم ليسوا مكلفين لغفلتهم عن الحق، قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [55] وقال ﴿لِئَلَّا يكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [56] وقال خطابا للحبيب الامين: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آَبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [57].

والامر التاسع: انه لايستحيل، بل من الرحمة والحكمة بعث الرسل الكرام إلى العباد مبشرين ومنذرين لهداية اصحاب العقل السليم الى الصراط المستقيم، وقد ارسل آدم ابا البشر اليهم وبعده سائر الرسل الى ان ارسل حبيبه محمداً العربي القرشي الهاشمي محمدا بن[58] عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وامه آمنة بنت وهب الى الثقلين الجن والانس كافة بشيرا ونذيرا وقد بعثه رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه واتباعه باحسان الى يوم الدين.

<36>

---

[55] آية (15) سورة الاسراء.

[56] آية (165) سورة النساء.

[57] آية (6) سورة يس.

[58] في وردت كلمة "ابن" بدل "بن" عند ذكر النسب الشريف.

الباب الثاني

في معنى الكلمة بما اخبر به صلى الله عليه وسلم

<37>

لنذكر مرادنا[59] هنا مما عدا ماسبق في مقاصد شريفة.

المقصد الأول: الملائكة

ويجب الإيمان بوجودهم، وهم اجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل باشكال مختلفة نظيفة لايتصفون بذكورة وانوثة، فليسوا من الموجودين بالتوالد والتناسل، بل من المخلوقين بالابداع وأمر كُن فيكون.

وشأنهم الخير والطاعة، لقوله تعالى ﴿لَا يعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيفْعَلُونَ مَا يؤْمَرُونَ﴾ [60] ولهم تفاوت في الأحوال والمقام لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [61]. ولهم اصناف: فمنهم حملة العرش، وهم في الدنيا اربعة وفي الآخرة ثمانية، ومنهم المقربون والمشهور منهم اربعة:

الأول: جبرائيل، وهو مأمور بالوحي والتنزيل لقوله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ﴾ [62].

الثاني: ميكائيل، المأمور بالارزاق.

الثالث: عزرائيل، المأمور بقبض الارواح.

الرابع: اسرافيل، المأمور بالنفخ في الصور لخراب الدنيا مرة ولاحياء الاموات مرة، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيامٌ ينْظُرُونَ﴾ [63].

ومنهم المأمورون على أوضاع السماء والسحاب والرعد والبرق والامطار والبحار، ومنهم المأمورون بكتابة اعمال المكلفين، لقوله تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [64].

ومنهم المأمورون برفع الاعمال، قال صلى الله عليه وسلم ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار)) [65].

---

[59] في المخطوط " مقاصدنا"

[60] آية (6) سورة التحريم.

[61] آية (164) سورة الصافات.

[62] آية (192-193) سورة الشعراء.

[63] آية (68) سورة الزمر.

[64] آية (10 - 11 - 12) سورة الانفطار.

[65] رواه البخاري جـ13/352 وجـ2/29 بهامش الفتح ومسلم جـ5/133 بهامش النووي ومالك في الموطأ جـ1/304 بهامش المنتقى ، واحمد في المسند جـ2/486 من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وفي رواية للبخاري [ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر] جـ2/29، جـ6/223. ورواه

ومنهم المأمورون بنفخ الروح في الجنين، كما في الحديث الشريف.

ومنهم المأمورون بحفظ الأنفس، لقوله تعالى ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيهَا حَافِظٌ﴾ [66]، ولقوله تعالى ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَينِ يدَيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [67].

<40>

مسلم جـ5/134 بهامش النووي واحمد جـ2/312 من طريق همام بن منبه عن ابي هريرة. ورواه احمد جـ2/257 من طريق موسى بن يسار عن ابي هريرة بلفظ [ان لله ملائكة يتعاقبون بالليل وملائكة بالنهار]. ورواه أبو نعيم في الحلية جـ7/325 قال : غريب من حديث الليث عن عمرو بن الحارث عن ابي يونس عن ابي هريرة. صحيح متفق عليه من حديث أبي هريرة من غير وجه. ط اوفسيت المكتبة السلفية.

[66] آية (4) سورة الطارق.

[67] آية (11) سورة الرعد.

ومنهم المأمورون بسؤال الاموات في القبور.

ومنهم المأمورون بالتنعيم. والتعذيب فيها الى ان ينفخ في الصور.

ومنهم المأمورون مع المحشورين، قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [68]، لانهم المأمورون يوم البعث، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [69].

ومنهم المأمورون بتعذيب اهل النار او تنعيم اهل الجنة في يوم القرار.

ومنهم غير ذلك ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [70].

ولسنا مكلفين بمعرفة تفصيل اعدادهم واحوالهم وذلك موكول الى العليم الخبير.

المقصد الثاني: وجود الجن

وهم اجسام لطيفة نارية ويقتدرون على التشكل باشكال مختلفة ظاهرة أولا، ويتصفون بالذكورة والانوثة، ووجودهم بالتوالد والتناسل، وهم مكلفون كالانسان، لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [71]، وقد خلقوا قبل البشر، لقوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [72].

وقد ارسل اليهم الرسل الى اخر العهد الذي بعث فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد بُعث اليهم، بنصوص الكتاب والسنة واجماع الأمة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [73].

وقد نص على دعوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لهم الى الإسلام، وقال تعالى ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ

---

(68) آية (21) سورة ق.
(69) آية (38) سورة النبأ.
(70) آية (31) سورة المدثر
(71) آية (56) سورة الذاريات.
(72) آية (27) سورة الحجر.
(73) آية (29 - 30 - 31 - 32) سورة الأحقاف.

لِبَدًا﴾ [74] ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آَمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ [75] وفي المؤمنين مطيعون وعاصون والكفار منهم يسمون بالشياطين.

واعصى العصاة منهم ابليس، وقد كان بين الملائكة يعبد الله تعالى حتى خلق الله آدم ابا البشر وامره والملائكة بالسجود له تشريفا فأبي واستكبر وكان من الغاوين، قال تعالى في بيان سر كفره: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [76] وهذه الآية ظاهرة في أن الله تعالى امره شخصيا بالسجود، كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [77].

وهو وذريته وسائر الجن المتمردة يوسوسون في قلوب الناس لقوله تعالى: ﴿شَياطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [78]ويضلون بعض ضعفاء العقول، ويدل على ذلك قوله تعالى

---

[74] آية (19) سورة الجن.
[75] آية (253) سورة البقرة.
[76] آية (50) سورة الكهف
[77] آية (12) سورة الأعراف.
[78] آية (12) سورة الأنعام.

حكاية: رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَينِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا [79].

والعصاة منهم يعذبون في الجحيم قال تعالى: وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ [80] وللجن قدرة على الأعمال الشاقة، كما قال تعالى في سورة الأنبياء: وَمِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يغُوصُونَ لَهُ وَيعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ [81] وفي سورة النمل: قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ [82].

المقصد الثالث: الإيمان بالرسل الكرام والمقصد الرابع في الإيمان بالكتب المنزلة عليهم من الله العلاّم

اما الإيمان بالرسل فعبارة عن الإيمان بان الله تعالى اختارهم واصطفاهم لانزال كتبه اليهم ليبلغوها الى المكلفين ليهتدوا بها الى السعادة في الدارين اعتقادا وعملا، وهنا أمور.

الأول: ان بعث الرسل الكرام فضل ورحمة من الله، اذ لا يجب عليه شيء، ولكنا لما نظرنا الى احكامه المتقنة المملوءة من الفوائد علمنا أن[83] من مقتضى حكمته الباهرة، لان العاقل اذا تفكر في العالم علم ان العباد لايصلحون فوضى بلا نظام، فوجب أن يكون لهم نظام يكون اساسا لانتظام امورهم، فان بالعدل تعتدل[84] الأحوال وذلك النظام لايكفي لنيل المقصود اذا كان نظاما لايسيطر على الأرواح ولا تتنور[85] به القلوب لنيل

[79] آية (29) سورة غافر.
[80] آية (13) سورة السجدة.
[81] آية (82) سورة الأنبياء.
[82] آية (39) سورة النمل.
[83] في المحطوط "علمنا ان ارسال الرسل"
[84] في المخطوط " يعتدل"
[85] في المخطوط " يتنور"

الصلاح، فان هناك اشياء كثيرة كتنفيذ رغبات الطبع ومشتهيات النفس وقضاء الوطر من الملذات وحب الجاه والسيطرة على الناس لاتعارض الا بنور الإيمان المنبثق من مصباح الرسالة الالهية الناتجة من الوحي المقدس الى الرسل الكرام.

والحقيقة ان الانسان لايعيش سعيدا الا براحته واطمئنانه، ولا يتحقق ذلك الا بالارتباط بالحي القيوم الذي بيده ملكوت السموات والأرض، فهو الذي ينور قلب عبده ويجعله سراجا وهاجا فيستنير به طريق السلوك الى سعادة الدارين، ولذلك اتفقت العقول السليمة على ان الانسان محتاج الى النظام الروحي الذي يدعوه الى قبول الحق ورعاية العدالة في الكل والا فما الذي يحفظ الانسان عن الخيانة في الأمانات المودعة عنده وعن قضاء شهوة النفس في الخلوات التي لا يعلم بها الا الله وعن الجور في الأحكام اذا لم يكن عليه رادع زاجر وعن الخلف في الوفاء بالعهود والإيمان والحقوق الدائرة في البين، فثبت عند المنصف ان الدين واجب لنيل السعادة.

الأمر الثاني: ان اولئك الرسل الذين اختارهم الله تعالى لاعباء الرسالة يجب في حقهم الصدق والأمانة في تبليغ الأحكام، ويستحيل في حقهم اضدادها، واما في سائر الاداب والاحكام البشرية فهم بشر لا غير.

الأمر الثالث: ان الرسل الكرام يجب عصمتهم عن الكفر ومادونه من الكبائر وعن الصغائر الدالة على الخسة النفسية مطلقا قبل النبوة وبعدها.

اما نقلا فلآيات كثيرة تنزه ساحة وجودهم الشريفة عن العيوب الكثيفة، قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [86] وقال:

[86] آية (59) سورة النمل.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يصِفُونَ (180) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [87] وفي آيات عديدة ذكر الله تعالى ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَينَ الْأَخْيارِ﴾ [88] وكلل تيجان كرامتهم بجواهر الثناء، فيقول لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿يا أَيهَا النَّبِي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [89] ويمدحه بقوله الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [90] وفي ذلك كفاية وكفى بالله شهيدا.

واما عقلا فلان العقل لا يسلم ان يستخلف الله الحي القيوم العادل القادر على عباده من يجورهم ويظلم حقوقهم ويتصف بصفات ذميمة يستنكف منها الاوساط من عقلاء العباد، ولذلك يعلن الله تعالى كرامتهم ويثني عليهم ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [91] وجعل الشهادة على رسالته شطرا من شعار الإسلام، ويمُنُّ عليه بشرح الصدر ورفع الذكر المستلزم لاستحباب ذكر فضائله وشمائله ونشرها في الانام مدى الدهور والاعوام وطول السنين والشهور والايام فانها من اقوات الأرواح كالغذاء الواجب لبقاء الهياكل والاشباح، فسبحان من اختار من فضله خيار عباده فارسلهم وجعلهم مصابيح لتنوير الصراط المستقيم.

الامر الرابع: أن الرسول انسان بعثه الله تعالى الى الخلق لتبليغ كتابه للعباد، والنبي اعم منه، اي انه انسان بعثه الله تعالي اليهم بدون شرط

---

[87] آية (180 - 181) سورة الصافات.

[88] آية (47) سورة ص.

[89] آية (45 - 46) سورة الاحزاب.

[90] آية (4) سورة القلم.

[91] آية (56) سورة الاحزاب.

التبليغ بان اوحى اليه شرع يعمل به لنفسه، ويدل على ذلك زيادة عدد الأنبياء على الرسل، فقد روي أن عددهم مائة واربعة وعشرون الفا وان عدد الرسل ثلثمائة وثلاثة عشر[92] هذا.

والمذكورون باسمائهم في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة سبع وعشرون: آدم وشيت وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف وايوب والياس واليسع وذوالكفل وموسى وهارون ويوشع ويونس وداود وسليمان وعزير وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. واولوا العزم منهم خمسة: نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، وهم افضل من غيرهم، كما أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم افضل من الجميع، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الآية.[93]

واسباب التفضيل كثيرة، منها عموم الرسالة للعالمين ومنها استمرار المعجزة ودوامها إلى يوم الدين ومنها، كثرة الفضلاء والعلماء من امته، ومنها التحلي بمكارم الأخلاق اكثر من غيره. كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[94].

[92] روى الامام احمد جـ5/266 وقد ذكر عدد الرسل. عن ابي امامة رضي الله عنه في حديث طويل .. قلت : يا رسول الله كم وفي عدة الانبياء؟ قال : [مائة الف واربعة وعشرون الفا، الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا].

[93] آية (253) سورة البقرة.

[94] آية (4) سورة القلم.

المعجزة:

الامر الخامس: مما تثبت به رسالة الرسل المعجزة، وهي امر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي الرسالة في مقام تحدي المنكرين على وجه يدل على صدقه، ولا يمكنهم معارضته.

وماتقدم على دعوى الرسالة يسمى ارهاصا ومالم يكن في مقام التحدي كرامة كما يظهر على ايدي الصالحين.

ومما يجب أن يعلم أن المعجزة ليست مما يكتسب بالصناعة والتعليم، فان المكسوب امر اعتيادي لكل كاسب وانه لم يخلق الله تعالى معجزة من المعجزات على ايدي الكاذبين، وذلك فضل ومنة ورحمة على العباد حتى لايتورطوا في الاشتباهات.

ومعجزات بعض الرسل مشهورة ومعجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة مدونة في كتب السير، منها انشقاق القمر باشارته صلى الله عليه وسلم، ولا يجب ظهور ذلك عند غير المستعد لمعرفته، فلا يقدح بالاقاويل، وقد قال تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يرَوْا آَيةً يعْرِضُوا وَيقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [95] وهذه الآية كاسرة لظهور المنكرين، ومنها تسبيح الحصى في يده الشريفة وانطاق العجماء وتفجر الماء من بين أصابعه اللطيفة، واوضح المعجزات القرآن المنزل عليه الذي تحدى به بلغاء الانس والجن ولم يقدروا الى الان على الإتيان بمثله.

---

[95] آية (1) سورة القمر.

سر اعجاز القرآن الكريم

وقد ذكروا في وجه الاعجاز اموراً:

الاول: اشتماله على النكات البلاغية التي تدهش ارباب البلاغة.

الثاني: اخباره بمغيبات خفيت على العالم.

الثالث: بيانه لبعض الامور السماوية التي لايصل اليها الا ارباب البصيرة في العلوم المختصة بها.

الرابع: استيعاب اصول الاحكام الاعتقادية والعملية واطلاق سراح العقول المهتدية الى استنباطها.

الخامس: خلوه عن الكذب في مدحه وذمه، ونبوَه عن الإفراط والتفريط.

السادس: أن كل مجموعة منه يستفيد منها مجموعة من السامعين والمختلفين في المكاسب والمشارب، فلا يقنط السامع من سماع نافع جامع.

الثامن: دعوته لعقلاء العالم الى السعي في الارتباط بالمثل العليا مع امره بالاعتدال في امر الدين والدنيا.

التاسع: توجههم الى تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل.

العاشر: مخالفة اسلوبه لاساليب الكلام المعتاد بين العباد.

كل ذلك في دور شخص لم يدخل في المدارس والمعاهد والمعابد ولم يسافر إلى بلد لكسب الخط والعلم وماكان يتلو الكتاب ولا يخطه بيمينه، فحق انه تنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبه ليكون بشيرا ونذيرا للعالمين، فبلغه وفسره وعلمه ونشره فهدى الناس للتي هي اقوم وارشدهم الى الطريق الاقوم.

محمد سيدنا افضل الرسل

الأمر السادس: انه صلى الله عليه وسلم افضل الرسل الكرام.

والدليل عليه امور:

الأول: عموم رسالته وشمولها للعالم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [96] وقال ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [97] وقد بشر وانذر صلى الله عليه وسلم أم القرى ومن حولها وكتب الكتب الى كبراء العالم يدعوهم إلى الإسلام فكتب الى كسرى الفرس والى هرقل عامل الروم والى امراء الخليج العربي والى مقوقس عظيم الاقباط.

الثاني: أن دينه ناسخ لسائر الأديان وان شريعته مستمرة الى الابد.

الثالث: استمرار معجزته الى يوم القيامة، فان القرآن المعجز يبقى كما كان إلى آخر الزمان.

الرابع: اختصاصه بامة كانت خير امة اخرجت للناس، من جهة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودوام الطاعة والعلم

باصول الدين ودوام الجهاد والارشاد وتنوير العباد.

الخامس: اختصاصه بكرامة الاسراء ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، وذلك بنصوص القرآن الكريم، ثم

---

[96] آية (28) سورة سبأ.

[97] آية (107) سورة الانبياء.

عروجه منه الى ماشاء الله من المعارج حتى تلقى الخطاب من ربه تعالى وفرض عليه وعلى امته الصلوات الخمس في كل يوم وليلة، وقد كان باليقظة والانتباه ولوكان رؤيا رآها او خيالا تخيلها لم يكن مما له اهميته لايقة بالنقل.

وذلك علاوة على ما يدل عليه القرآن الكريم من اختصاصه بفضائل جمة وخطابه له بالالقاب المشرفة بعنوان النبوة والرسالة وثنائه عليه بتوصيفه بالصفات العالية، ولم يتحقق لغيره من المرسلين وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم في الموضوع احاديث، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة بيدي لواء الحمد ولا فخر ومانبي يومئذ آدم ومن سواه الا تحت لواءي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر)). وعن ابن عباس رضي الله عنهما ((انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها فيدخلها معي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الأولين والآخرين ولا فخر)) [98].

---

[98] روى مسلم من طريق الأوزاعي حدثني ابوعمار حدثني عبدالله بن فروخ حدثني أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [انا سيد ولد آدم، وأول من ينشق عنه القبر، واول شافع واول مشفع]. جـ15/37 بهامش النووي وابوداود جـ4/218/4673 [... اي ربي خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر واول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر..] وهو من حديث طويل رواه الامام احمد جـ1/5 ومن طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي نضرة، قال : خطبنا ابن عباس رضي الله عنهما. قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [... وانا سيد ولدم آدم يوم القيامة ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الأرض، ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر..] جـ1/281/295 وعن ابي هريرة رواه احمد جـ2/540 ثنا محمد بن مصعب ثنا الأوزاعي عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة.
ومن حديث عمرو بن انس. ثنا يونس ثنا ليث عن يزيد، يعني ابن الهاد عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [اني لاول الناس تنشق الارض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر، وانا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر، واني آتي باب الجنة فأخذ بحلقتها ...] جـ3/144 مسند الامام احمد.
وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري بلفظ [انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر بيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي ، وانا اول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.. واخذ

بحلقه باب الجنة فاقعقها..] جـ4/140 بهامش تحفة الأحوذي ط الهند.

ونهيه عن تفضيله على يونس بن متى تواضع منه صلى الله عليه وسلم، او كان قبل علمه بانه افضل منه او المراد تفضيل يكون على سياق يورث نقصا في حقه عليه السلام.

ومن شرط الإيمان بالرسل عليهم السلام احترام كل منهم وعدم التفرقة بينهم في نفس الرسالة، والا فهو تعالى نص على تفضيل بعض منهم على بعض فالتصريح بالتفضيل مع الدليل جائز.

المقصد الرابع: الإيمان بكتبه تعالى:

واما الإيمان بكتبه تعالى فعبارة عن التصديق بان جميع مانزل به جبرائيل الامين عليه السلام كلام الله الأزلي القديم المعلوم له تعالى ازلا وليس فيه علاقة لغيره تعالى من الملائكة والجن والانس قطعا، اي ليس من كلامهم، وذلك الكلام المقدس دليل على الصفة النفسية القديمة التي ليست من جنس الحروف والأصوات.

وعدد الكتب المنزلة على اول الرسل سيدنا آدم عشرة وعلى شيت خمسون وعلى ادريس ثلاثون وعلى ابراهيم عشرة وعلى موسي التوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسي الانجيل وعلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن

الكريم الذي يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين، والذي يتعبد بتلاوته وتعجز اقصر سورة منه المعارضين.

فائدة جليلة

لما كان احد وجوه اعجاز القرآن الكريم عائدا الى الفاظه ودلالاتها منطوقا ومفهوما وكونها مختصة او مشتركة لفظا او معنى، والى تأثير التقديم والتأخير بين الألفاظ في الكلام وتصدير بعض الجمل ببعض الحروف والتفاوت بين الجمل الاسمية والفعلية وكون الفعل ماضيا او مضارعا مع رعاية اشتماله على النكات البلاغية كانت ترجمة القرآن الكريم من المستحيلات، لان الترجمة تقتضي أن يكون المفرد طبق المفرد والمركب طبق المركب مع ملاحظة الدلالة والفوائد الناتجة مما ذكرنا ورعاية نكات البلاغة فكانت ممتنعة قطعا.

نعم يمكن تفسير آياته الكريمة بعبارات تفيد المقاصد الأساسية، لكن ذلك ليس ترجمة وانما هو تفسير وبيان فتنبهوا لذلك فانه مهم جدا..

المقصد الخامس في القضاء والقدر

القضاء بمعنى الارادة والقدر بمعنى الخلق، او القضاء بمعنى العلم والقدر بمعنى التقدير والتحديد، وعلى كل فالإيمان بالقضاء والقدر معناه التصديق بان كل ما موجود انما يحدث بارادته تعالى وخلقه وبحسب علمه وتحديده لذلك الشيء قال تعالى ﴿فَعَّالٌ لِمَا يرِيدُ﴾ [99] وقال: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ﴾ [100] وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاَهُ بِقَدَرٍ﴾ [101] وقال: ﴿أَلَا يعْلَمُ مَنْ

---

[99] آية (16) سورة البروج.

[100] آية (62) سورة الزمر.

[101] آية (49) سورة القمر.

خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (102) فالعالم كله اعلاه واسفله بحره وبره والانسان وعمله خيره وشره كله بخلقه تعالى وتنفيذ قدرته التابعة لارادته لعلمه، وهذه هي عقيدتنا نحيا عليها وبها نموت.

وايضاح المقام أنا لما شعرنا بوجودنا شعور اهل التمييز وجدنا ذواتنا محتاجة الى الغير ولما نظرنا الى غيرنا وجدناه محتاجا ايضا، وعندما رفعنا الرأس ونظرنا الى العلويات واستدللنا باحوالها حصلنا على نتيجة؛ انها ليست من الصدفة ولا ناشئة من الطبيعة اللاشعورية، بل هي ايضا محتاجة الى الذات الواجب الوجود الموصرف بالكمال المنزه عن النقصان، ولما آمنا بانه موصوف بصفات الكمال من الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام علمنا أن صفة العلم بدون المعلوم والارادة بدون المراد والقدرة بدون المقدور والسمع بدون المسموع والبصر بدون المبصر والكلام بدون من يتكلم معه غير معقول علمنا أنه من مقتضى اتصافه بتلك الصفات خلق الكائنات وهي من آثار ذاته، لا على سبيل الايجاب، بل على سبيل اقتضاء الحكمة، وعلمنا انها مخلوقة له وحده لاشريك له، لان الكمال المطلق بريء عن اشتراك الغير، ولما علمنا ذلك علمنا أن العالم كما يحتاج الى نظام يبقى معه دوام الحركة والدوران الى ماشاء الله كذلك تحتاج المجموعة البشرية الى نظام تعيش عليها يربطها بخالقها علما وايمانا واعترافا بالاحتياج اليه ويراعي العدل وموازين الحق، وعلمنا أن ذلك لا يمكن الا برسول يرسله الله تعالى يكون كرابطة بينهم وبين خالقهم الحي القيوم، وعلمنا أن ذلك الرسول يأتيه كتاب لرعاية هذه العلاقة المقدسة لينالوا السعادة، ولما بَلَّغنا الرسول كتابه وشرح لنا مبادئه

(102) آية (14) سورة الملك.

المقدسة علم كل عاقل أن الله تعالى عالم بكل شيء ومريد لما يحدث في العالم بقدرته، سواء كان الحادث من الاعيان او من الأعمال والاحوال للانسان او غيره، ووجدنا أن ذلك النظام يقتضي الفرق بين المطيع والعاصي لثواب ذلك وعقابه، وانه لما لم يكن الجزاء في هذه النشأة المؤقتة القصيرة علمنا أن ما اتى به الرسول الصاحب للنظام الالهي حق لاريب فيه وان بعد هذه الدنيا عالما آخر للحساب ونيل الثواب والعقاب، فنثاب او نعاقب على اعمالنا فيه.

فان قيل اذا كان واجب الوجود عالما بكل شيء من اعمالنا وغيرها ولا يمكن تخلف المعلوم عن علمه كما لايتخلف المراد عن ارادته وان الخالق لها هو الله تعالى وحده فماذا علينا؟ ولماذ يترتب لنا الثواب على الطاعات والعقاب على المعاصي وما السبب؟

قلنا: السبب في ذلك هو ان النظام الالهي افادنا أن الله سبحانه وتعالى علم في الازل انه بعد ان خلقنا وزوَّدنا بالحواس والعقل وأيد عقلنا بارشاد الرسل، وببيان طريق الخير والشر والجزاء بالثواب والعقاب انا نختار في حياتنا سلوك طريق الخير والعمل به والدوام عليه وهو يخلق لنا الثواب او اننا نختار سلوك سبيل الشر والفساد ونُرَّجح ماتقتضيه الشهوات والرغبات وهو يخلق لنا ما اخترناه ويرتب عليه العقاب بمقتضى حكمته وعدله.

وخلاصته أن الله تعالى علم في الأزل ان المكلف يختار الجانب المخصوص من الأعمال فهو في المستقبل يخلق له ذلك الجانب حسب توجه رغبته اليه وتخصيصه بارادته الجزئية، فعلمه الأزلي مرآة مبصرة لما يختاره المكلف في المستقبل لا قوة قاهرة تحكم عليه ومنهنا يعلم ان الاجل واحد والمقتول ميت باجله لانه عبارة عن وقت عيّن لا انتهاء مدة حياته فيه سواء مات بعد استكمال مدة مديدة كما في المعمرين او قبل ذلك وسواء مات بدون سبب ظاهر او مات به كأن يموت بالقتل او الغرق او الحرق او غيرها.

واما من جعل الاجل اجلين: طبيعيا كما في المعمرين، وانخراميا كما في

المصابين بالعوارض، فقد نظر الى مايدركه العقل من الأمور المعتادة والا فمن آمن بالله وعلم انه عين لحياته مدة لايتجاوزها او انه يموت بالاصابة الفلانية فلا يبقى عنده ذلك التقسيم، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيبْتَلِي اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [103]

فان قلت: اذا وجب الإيمان بالقضاء والقدر وماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن فما وجه المحاولات حول الأسباب لتصميل امر او لتعطيله؟

قلنا: أن هذا السؤال ناشيء من الجهل بتقدير الأشياء، فان الله تعالى اذا قدر شيئا قدر اسبابها وقدر شرائطها، فقد علمنا من نص كتابه العزيز انه قال في شأن ذي القرنين: ﴿وَآتَينَاهُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ﴾ [104] وجرت سنته تعالى بترتيب المسببات على اسبابها وقال: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [105] وقد علمنا أن المطر سبب للنبات وان الحذر سبب للنجاة وان التداوي سبب للشفاء من الامراض وان الدعاء سبب له، قال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [106] وان الصدقة سبب لرفع البلاء قال صلى الله عليه وسلم: ((الصدقة تدفع البلاء وتزيد العمر)) [107]

---

[103] آية (154) سورة آل عمران.

[104] آية (84) سورة الكهف.

[105] آية (23) سورة الفتح.

[106] آية (186) سورة البقرة.

[107] روى الطبراني في الكبير عن رافع بن خداج قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [الصدقة تسد سبعين بابا من السوء] وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف. مجمع الزوائد جـ3/109. وعن على بن ابي طالب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطاها] روى الطبرانى في الكبير عن رافع بن خداج قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [الصدقة تسد سبعين بابا من السوء] وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف. مجمع الزوائد جـ3/109. وعن علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :[باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطاها] قال الهيثمي: رواه الطبراني في الاوسط وفيه عيسى بن عبدالله بن محمد وهو ضعيف جـ3/110. وعن عمرو بن عوف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ان صدقة المسلم تزيد في العمر وتمنع ميتة السوء ويذهب الله بها الكبير والفقر والفخر]. قال : رواه الطبراني في الكبير وفي كثير بن عبدالله المزني وهو ضعيف. جـ3/110.

وقد أمر الله تعالى بمباشرة السبب فقال: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [108] وقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [109] ونحن نعتقد أن مطلوبنا المعين له اسباب او سبب معين فنسعى في مباشرة الأسباب فان نجحنا علمنا أن الله تعالى قدره لنا وان لم ننجح علمنا أنه لم يقدره وقد قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [110].

ومما يجب أن يعلم أنه لما كان اعتقاد الفرقة الناجية على أن الله تعالى خالق كل شيء ابتداء وانه مختار في كل تأثير وايجاد كان معنى ربط المسببات باسبابها وترتبها عليها هو التسبب العادي، حتى يقال في المحاورات: تحقق الشيء الفلاني مع سببه لا به، حذرا عن ايهام التأثير، وان معنى التوسل بأي شيء التعلق به كسبب اعتيادي للمطلوب سواء كان ذلك الشيء من الاعمال الصالحة كما في قضية اصحاب الرقيم اودعاء احد الصالحين او جاه احد الأنبياء والمرسلين، كما روى ابن ماجة

[108] آية (71) سورة النساء.

[109] آية (103) سورة التوبة.

[110] آية (39) سورة النجم.

باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من خرج من بيته الى الصلاة فقال: اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك واسألك بحق ممشاي اليك، فاني لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فاسألك أن تعيذني من النار وان تغفر لي ذنوبي فانه لايغفر الذنوب الا انت. اقبل الله لوجهه عليه واستغفر له سبعون الف ملك)) [111].

(الحُسن والقبح)

كما يجب أن نعلم ان افعالنا الاختيارية التي تصدر منا كسبا ومن الله تعالى خلقا منها افعال حسنة ومنها افعال قبيحة، بمعنى انها يترتب عليها المدح من الله في الدنيا والثواب منه تعالى في الاخرة، او يترتب عليها الذم في الدنيا والعقاب في الآخرة.

والحسن والقبح بهذا الوجه لايدركه العقل، وانما يعلم بالشرع، واما الحسن بمعنى كون الشيء صفة كمال كالعلم او ملائما للطبع كوصول الحبيب الى المحب، والقبح بمعنى كون الشيء صفة نقص كالجهل او منافراً للطبع كفراق الحبيب عن محبة، فهما عقليان يدركهما العقل بلا

[111] رواه احمد جـ2/21 ثنا يزيد ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري ، فقلت لفضيل رفعه ، قال : احسبه قد رفعه قال : [من قال حين ..] الحديث.
ورواه ابن ماجة من نفس الطريق جـ1/256/778. قال في مصباح الزجاجة: هذا اسناد مسلسل بالضعفاء ، عطية هو العوفي ، وفضيل مرزوق والفضل بن الموفق ، كلهم ضعفاء ، ولكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق ، فهو صحيح عنده ، قال البوصيري: وذكره رزين ورواه احمد بن منيع ، ومسنده: حدثنا يزيد حدثنا الفضل بن مرزوق ، فذكره باسناده ومتنه ، وزاد في آخره : [حتى يفرغ من صلاته] جـ1/98-99 مصبح الزجاجة للبوصيري.

ريب.

فان قلت: اذا كانت افعالنا كذلك، فكيف يخلق الله تعالى القبيح منها، كالكفر والعصيان وقتل الأبرياء، وهل يجوز صدورها[112] منه تعالى؟

قلنا: نعم يجوز صدورها[113] منه، لاسيما اذا كان منشأ صدورها منه سوء تصرف العباد واختيارهم للشر والفساد، فان الخلق لما كان صفة العليم الخبير الذي لاتخلو افعاله عن الحكمة يكون موافقا لنظام العالم، فان النار محرقة واشعالها فيه مصالح، والحية لداغة قتالة، وقد تلدغ رجل قاطع الطرق، فكل فعل صادر منه تعالى جميل، ومقرون بالحكمة.

واما اتصافنا بافعالنا فناشيء من رغباتنا النفسية، فقد تكون صالحة حسنة وقد تكون طالحة قبيحة، ومن هنا يظهر الجمع بين المعتقدين هما الرضاء بالقضاء واجب، والرضاء بالكفر كفر.

ووجه الجمع أن الأمر المقضي له جهتان:

جهة صدوره من الله العادل الحكيم وجهة كسبه من العبد الجائر اللئيم، والرضاء بالفعل الصادر من الله واجب والرضاء بالكسب الناشيء من سوء الاختيار لاقبح الاعمال كفر، وان الله لايرضى من عباده العصيان.

وبما تقرر من ان افعال العباد التي تصدر منها بالاختيار مكسوبة للعبد ومخلوقة للمعبود ظهر كالشمس في رابعة النهار أن العبد مخير في تلك الأفعال لا مسير، كما انه في ذاته وصفاته وأفعاله الاضطرارية مسير لا مخير، وظهر ايضا ان العبد العاقل السليم مكلف وان التكليف يتوقف على وجود قوة الكسب لا قوة الخلق وان الله تعالى خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل وان العبد كاسب لافعاله الاختيارية ومدار كسبه سلامة الاسباب والآلات من الاعضاء والحواس والعقل، وهذه هي الاستطاعة المشروطة في المكلفين.

[112] في المخطوط " ايجادها"
[113] في المخطوط "ايجادها"

المقصد السادس فيما أخبر به صلى الله عليه وسلم

من بعض المعتقدات الإسلامية[114]...

فنعتقد أن أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من خير الامم وافضلها عند الله تعالى قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [115] ويدل على سر ذلك امور:

الأول: أنهم جاهدوا بانفسهم وأموالهم في سبيل نشر الإسلام في ربوع العالم.

الثاني: أنهم حفظوا نصوص القرآن الكريم مر الزمان.

الثالث: انهم حفظوا سنة النبي صلى الله عليه وسلم من اقواله وأفعاله وتقريره ثم دونوها وهذبوها وقسموها حسب قوة الأسانيد للتوصل بها الى فهم الكتاب واخذ احكام الإسلام.

الرابع: انهم أسسوا كل ما لابد منه لحفظ الكتاب والسنة من العلوم العربية المتعلقة بمادة الألفاظ واعرابها وبنائها ونكاتها وطرق استفادة المعاني منها.

الخامس: انهم اكبوا على دراسة تلك العلوم جيلا بعد جيل الى يومنا هذا.

السادس: انهم حافظوا على اركان الإسلام.

السابع: انهم استمروا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر الامكان.

الثامن: انهم اخلصوا دينهم لله ونبغ منهم جمع في كل عصر من اصحاب

---

[114] في المخطوط "الإسلامية الأخرى"

[115] آية (110) سورة عمران.

التقى والامتياز بين الإسلام حتى صاروا اقباسا مضيئة نافعة لاهل الدين.

التاسع: انهم لايجتمعون على ضلالة وهذه العصمة تبعد الامة الإسلامية عن التهمة في التلاعب بالدين، فكان في كل عصر اكثرية ساحقة من المستقيمين على الحق اعتقادا وعملا بحيث لايضرهم من ضل عن سواء السبيل، ولذلك رغب الرسول صلى الله عليه وسلم افراد امته في اتباع الاكثرية الساحقة وحذرهم عن الخروج عنها وقال: فانما يأكل الذئب من القطيع الشاة القاصية [116].

---

[116] رواه النسائي ، عن ابي الدرداء (.. فعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب القاصية ..) جـ2/106 - 107. قال : اخبرنا سويد بن نصر قال : انبأنا عبدالله بن المبارك عن زائدة بن قدامة قال: حدثنا السائب بن حبيش الكلاعي عن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال : قال لي ابو الدرداء : ورواه احمد جـ5/232/233 من طريق سعيد عن قتادة ثنا العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل بلفظ [ان الشيطان ذئب كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد).
واحاديث هذا الباب كثيرة وقد جاءت من طرق متعددة ، روى الامام احمد في مسنده جـ5/370/371 ثنا اسحاق بن سليمان الرازي قال : سمعت زكريا بن سلام يحدث عن ابيه عن رجل قال : انتهيت الى النبي صلي الله عليه وسلم وهو يقول : [آيةا الناس عليكم بالجماعة ، واياكم والفرقة ..] ثلاث مرات. وروى الترمذي من طريق آخر جـ 3/207 بهامش تحفة الاحوذي ط الهند. قال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه - اي الوجه الذي اخرجه هو - وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة ، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي صلي الله عليه وسلم. أهـ.
وطريق ابن المبارك رواه الامام احمد قال : ثنا على بن اسحاق قال : انبأنا عبدالله - يعنى ابن المبارك أنبأنا محمد بن سوقة عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر ان عمربن الخطاب رضي الله عنه.. جـ1/18.
ومحمد بن سوقة ثقة انظر تهذيب التهذيب ج،9/208 وكذلك على ابن اسحاق انظر تهذيب جـ7/282. ورواه من طريق آخر جـ1/26 ثنا جرير عن عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة. وجرير ثقة. انظر تهذيب التهذيب جـ2/75 وكذلك عبد الملك انظر تهذيب التهذيب جـ6/411.
ومنها حديث [... وان هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، هي الجماعة) أخرجه احمد جـ4/102 الدرامي جـ2/241 والحاكم جـ1/128 من طريق صفوان حدثني الأزهر بن عبدالله الهوزيني عن ابن عامر عبدالله بن يحيى عن معاوية بن ابي سفيان انه قام فينا فقال : الا أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قام فينا فقال:
قال الحاكم بعدما ذكر الحديث من اسانيد الحديث : هذه اسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث. أهـ. ووافقه الذهبي . جـ1/128.
وقول الحاكم هذا انما ذكره لاجل الازهرـ فقد تكلموا فيه تهذيب التهذيب جـ1/204-205.

العاشر: انه لاتخلو الامة الإسلامية عن رجال أولي فضل وامتياز في الاعتقاد والاعمال وقال: ((مثل امتي مثل المطر لايدري اوله خير ام آخره)) [117] ونعتقد ان افضل تلك الامة اهل القرن الأول ثم اهل القرن الثاني ثم اهل القرن الثالث قال صلى الله عليه وسلم: ((خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)) [118] فيستوعب، الخيرية الصحابة الكرام رضي الله عنهم

<61>

[117] رواه أحمد من طريق حماد بن يحيى حدثنا ثابت البناني عن انس جـ 3/130/143 (مثل امتي ..) ورواه من طريق آخر ثنا عبد الرحمن ثنا زياد ابوعمر عن الحسن عن عمار بن ياسر قال : ... جـ4/319 . ورواه الحافظ ابو نعيم في الحلية من طريق آخر جـ2/231 قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر: حديث حسن له طرق قد يرتقي بها الى الصحة جـ 7/5 فتح الباري. أهـ.

[118] رواه البخري جـ5/191 جـ11/212/473 بهامش الفتح ومسلم جـ 7/184-185 بهامش النووري والترمذي جـ4/359 بهامش تحفة الاحوذي ط الهند واحمد جـ1/378/434/438/442 وابن ماجه جـ 2/791/2362، وابو نعليم جـ2/78 في الحلية من طريق ابراهيم عن عبيدة السلماني عن عبدالله بن مسعود ولفظ البخاري [خير الناس قرني ...] [اي الناس خير؟ قال : قرني ثم الذين يلونهم..] وعند الامام احمد [ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثلاثا او اربعا..] جـ1/434. ومن طريق شعبة حدثني ابوحمزة حدثني زهدم بن مضرب قال : سمعت عمران بن حصين رضي الله عنهما يقول ولفظه [خير امتي قرني ...] جـ7/4 بهامش فتح الباري وابو نعيم في الحلية بلفظ [خيركم قرني ...] واحمد جـ4/427/436. ومن طريق أبي بشر عن عبدالله بن شقيق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم [... قال أبو هريرة: لاادري اذكر مرتين او ثلاثا] رواه الامام احمد جـ2/228/410/479. ومن طريق قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن عمران بن حصين بلفظ [خير امتي] رواه ابو داود جـ4/214/4657 واحمد جـ4/426/440 وابو نعيم في الحلية جـ2/78. ومن طريق خيثمة والشعبي عن النعمان بن بشير. رواه أحمد جـ4/267/77 وابونعيم في الحلية جـ4/125. ورواه ابن ماجة من طريق آخر جـ 2/791/2362 والترمذي جـ3/207 بهامش تحفة الأحوذي جـ3/256 ط الهند.

والتابعين وتابع التابعين وذلك لانهم كانوا هم المصادر الاساسية والمنارات المقياسية لدين الإسلام وقواعده الاعتقادية والعملية.

ونعتقد ان الافضل بالاطلاق الصحابة الكرام رضي الله عنهم وذلك لادلة واضحة:

الأول: أنهم كانوا هم المخاطبين بالذات في قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [119].

الثاني: انهم هم الذين اعتنقوا دين الإسلام اولا وهم الذين طبقوه وهم الذين جاهدوا لنشره في العالم بالتضحية بانفسهم وأموالهم في مقابل ذلك، فكان عالم الإسلام بساتين فيها اصناف الأشجارة المثمرة والاوراد والازهار، وان دماءهم مياه لسقيها ونموها الى الاثمار.

الثالث: أن الله تعالى مدحهم عموما وخصوصا في آيات كثيرة فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَينَهُمْ تَرَاهُمْ

---

[119] آية (110) سورة آل عمران.

رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [120] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [121]. وقال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [122] وقال: ﴿السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [123].

ترتيب الأفضلية بين الصحابة

ونعتقد ان افضل الامة ابو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى ثم الحسن المجتبى ثم الحسين الشهيد ثم باقي العشرة المبشرة ثم حمزة سيد الشهداء ثم العباس عمه صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث أن خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء وعائشة الحمراء وآسية بنت مزاحم سيدات نساء اهل الجنة.

ثم اهل غزوة بدر الكبرى ثم اهل غزوة احد ثم اهل بيعة الرضوان في الحديبية رضي الله تعالى عنهم اجمعين.

ونعتقد أن الخلافة كانت على الترتيب المقرر فسيدنا ابو بكر الصديق اول خلفائه صلى الله عليه وسلم لادلة:

---

[120] آية (29) سورة الفتح.
[121] آية (10) سورة الفتح.
[122] آية (18) سورة الفتح.
[123] آية (100) سورة التوبة.

الاول: انه عينه الرسول صلى الله عليه وسلم اماما للمسلمين في مرض وفاته وامر بسد الخوخات النافذة الى المسجد الشريف الا خوخة ابي بكر، والامامة كانت وظيفة سيد الأنام عليه السلام في حياته ومن عينه الرسول صلى الله عليه وسلم لايجوز عزله.

الثاني: أنه وقع الإجماع على خلافته ومن وقع الإجماع على خلافته فهو خليفة بحق وتوقف سيدنا علي كرم الله وجهه لم يكن لانكار استحقاقه الخلافة وانما كان لاندهاشه بوفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم، او كان يجب أن يستشار ويكون له رأي في ذلك. ولو كان لعدم الاستحقاق لا ظهره اذ لم ياخذه في الله لومة لائم.

الثالث: أنه تحقق فيه قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يسْلِمُونَ﴾ [124] فانه كان هو الداعي الى قتال أهل المنع من اداء الزكاة، وقد نصره الله تعالى عليهم كما انه دعى الى قتال مسيلمة الكذاب فاباده واتباعه.

الرابع: أنَّ خلافته كانت موافقة لقوله صلى الله عليه وسلم ((الخلافة من قريش ماطاعوا الله)) [125].

---

[124] آية (16) سورة الفتح.

[125] روي هذا الحديث بالفاظ متقاربة ومن طرق متعددة: رواه احمد جـ 3/129 والبيهقي جـ3/121 وابونعيم في الحلية جـ8/122/123 من طريق بكير بن وهب الجزري قال : قال لي انس بن مالك: احدثك حديثا ما احدثه كل احد وذكره بلفظ [الائمة ...]. ورواه ابونعيم من طريق الطيالسي عن ابراهيم بن سعد عن ابيه سعد بن انس جـ 3/171 الحلية. ومن طريق محمد بن سوقة عن انس رواه ابونعيم جـ 5/8 قال ابونعيم : غريب من حديث محمد، تفرد به حماد، موجودا في كتاب جده.
ومن طريق الصعق بن حزن ثنا علي بن الحكم البناني عن انس . رواه الحاكم، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه عليه الذهبي جـ4/501. ومن طريق سكين بن عبد العزيز ثنا سيار بن سلامة ابو المنهال فقال : دخلت مع ابي علي ابن برزة .. قال : .. رواه أحمد جـ4/421/424 وابو يعلى والبزار جـ5/193 مجمع الزوائد قال في المجمع: رجال احمد رجال الصحيح خلا سكين بن عبد العزيز وهو ثقة، ورواه الطبراني في الكبير من طريق آخر جـ 1/252/رقم725. وأحمد من طريق بكير بن وهب الجزري عن انس : جـ3/129/183 .
ومن طريق فيض بن الفضل البجلي ثنا مسعر بن كدام عن سلمة بن كهيل عن ابي صادق عن ربيعة بن ناجذ عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه بلفظ [الائمة ..] رواه الحاكم جـ4/75/76. وروي من طرق

ولو سلمنا جدلا انه لم يكن افضل فلا يقدح ذلك لان امامة المفضول مع وجود الفاضل جائز.

<64>

اخرى وبالفاظ متعددة. راجع فتح الباري جـ13/101 فقد ذكر الشيء الكثير وراجع مجمع الزوائد جـ5/192 ومابعدها .

ولو نظرنا إلى ماقام به من المهمات من قتال قبائل المرتدين وقتال مسيلمة الكذاب وجنوده الاشداء الأشقياء وتجهيزه جيش أسامة بن زيد في ذلك الوقت الضيق تطبيقا وتكميلا لما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم، وجمعه للقرآن الكريم وصيانته عن الضياع لكفى شاهدا على صدق القول في فضله وشهامته واستحقاقه للخلافة الشريفة.

فأن قال واحد: بل كان سيدنا علي بن ابي طالب احق بالخلافة منه للنص على خلافته أو قرابته وكونه هاشميا.

قلنا: لو كان المرجح القرابة لكان الاحق بها هو العباس لكونه عمه، ولو كان هناك نص ماكان ليسكت عن اظهار ذلك النص ذلك الرجل الشهم الرشيد الرفيع المقام بين الأصحاب والعزيز الجانب بكثرة عشيرته وقرابته من قريش.

ولوقلت انه سكت عن دعواه لكثرة تقواه، قلنا: وفور التقوى يزيد طاعة النص وطلب تطبيقه، ولو لم يكن ابو بكر هو الخليفة الحق بعد رسول الله ماكان تقسيمه للغنائم صحيحا، وماكان يقبل من ابى بكر الجارية الحنفية التي ولدت له محمد بن الحنفية افضل آل البيت علما ماعدا ابن عباس رضي الله عنهما. ولو قلت: انه اخذه لاستحقاقه لها في نفس الامر، قلنا فلم قبل كتابة العهد لعمر بن الخطاب ولم يُـثِـر[126] الناس عليه؟ ولو سكت تقية ماكان يقبل خلافة عمر الفاروق، ولو قبلها لبعض الاعتبارات ماكان يزوجه بنته ام كلثوم، لان عليا كان شهما شجيعا مقداما لايخاف في الله لومة لائم ولاحركة قائم، ولواغمضنا العيون عن كل ذلك ما كان يرضى عندما جعل عمر الخلافة شورى بينه وبين رفقائه الخمسة وكان يقول: انا الخليفة الحق ولا معنى للمشاورة مع وجود النص. علاوة على ذلك كيف يقبل العقل السليم ان اماما شهما شريفا مطاعا شجاعا لايخاف أحدا يسكت عن دعوى حقه المشروع في الخلافة سنين عديدة وازمنة مديدة ولا يطبق نص الرسول صلى الله عليه وسلم في حقه وهو سيد العارفين ويخالف أمر الرسول الحبيب واخباره له بقوله: انت الخليفة بعدي، فالحق أن سكوته كان حقا وكلام الناس في حقه باطل.

وبعد ثبوت خلافة أبي بكر الصديق ثبتت خلافة عمر الفاروق باستخلاف أبي بكر اياه لانها كانت بامر الخليفة المطاع لقوله تعالى: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [127] وبعد ثبوت خلافته انظر الى شهامته وشجاعته واعماله التي قام بها من

[126] في المخطوط "وما اثار"
[127] آية (59) سورة النساء.

ترتيب الامور وتطبيق العدل في الأحكام وهيمنته على امة الإسلام ومخافة الكفرة اللئام من هذا الخليفة المقدام، وانظر رجاء الناس في رحمته وبث الامن والامان في رعيته وامره بالمعروف ونهيه عن المنكر برمته وانظر الى سوقه الجيوش المنصورة لاكمال فتح شبه جزيرة العرب والى حربة مع الفرس شرقا ومع الروم شمالا ومع الاقباط غربا وانظر اليه كيف فتح العراق وايران وفتح فلسطين والشام ودخل بيت المقدس وسَخَّر الاعداء اللئام وكيف فتح ديار مصر الواسعة ووديان النيل النافعة.

وانظر الى عفوه عند مقدرته وعدالته في حكمه وسيرته ورعايته اهل الذمة مثل سائر الأمة وانظر الى انه بعد فوزه بالاستشهاد كيف ابعد هذا الأمر عن نسله وجعله شورى بين ستة من كبار العشرة المبشرة وقوفا مع قوله تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَينَهُمْ﴾ [128] علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، فاختاروا بينهم عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومن هو عثمان؟ هو ذو الهجرتين من مكة إلى الحبشة والهجرة الثانية الى المدينة المنورة، صاحب النورين بنتى الرسول صلى الله عليه وسلم واحدة بعد الاخرى ومشتري الجنة مرتين في اشتراء بئر رومة لسقي المهاجرين في ايام الغربة وتجهيز جيش العسرة، جامع القران الكريم على قراءة قريش حيث انه نزل بلغتهم، وذلك بتأليف لجنة شريفة امينة مهتمة[129] واشراف الامام علي رضي الله عنه عليهما، وبذلك الأمر الخطير جمع المسلمين على طريق السلامة عن الشقاق والنفاق والبغضاء في تلاوة كتاب الله تعالى.

عثمان كهف الحياء والإيمان، عثمان منبع العدل والامان، عثمان صاحب الصدق والصبر عند هجوم اهل الشر والعدوان وماخلع قميص

[128] آية (38) سورة الشورى.

[129] في المخطوط "مهيمنة"

خلافته حتى استشهد على قراءة قوله الكريم: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [130].

ولما استشهد ولحق بالرفيق الاعلى آل الامر الى سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه باجماع اهل الحل والعقد من المسلمين، ولم ينازعه احد في استحقاق الحق، لكنه جرى قلم القضاء بخلاف من معاوية ابن ابي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس ابن عبد المناف ابن عمه بدرجات، وهو احد كتاب الوحي الاثنين والأربعين واخو ام المؤمنين ام حبيبة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم، لالانكار الخلافة بل لطلب توقيف المتهمين بقتل سيدنا عثمان ومحاسبتهم، فابى واعتذر بعدم مناسبة الوقت لذلك فحدث ماحدث هنالك مع الاسف ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [131] ثم خرجت الخوارج وكفروا من كفروا وعزموا على قتل سيدنا علي ومعاوية وبعض اخر فاصيبا، لكن فاز الأمام بالشهادة وشوفي معاوية بالتداوي على العادة، ولما كان للطرفين تأويلات نمسك عن ذكرهم وذكر الوقائع صيانة للادب.

وبعد وفاة الامام بويع الامام الحسن المجتبى رضي الله عنه وقام بالخلافة ستة اشهر فكان تاجها يتباهى به لا هو بها، ثم فتح باب التفاهم بينه وبين معاوية رضي الله عنهما فتنازل له على شروط قرروها وتحقق فيه قول جده ((ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)) [132]

---

130) آية (137) سورة البقرة.

131) آية (38) سورة الاحزاب.

132) روي هذا الحديث عن الحسن البصري عن أبي بكرة : وراه البخاري من طريق سفيان حدثنا ابو موسى عن الحسن سمع أبا بكرة : جـ 5/325/ جـ7/74 جـ13/52/53/54/55/56/57 بهامش الفتح والنسائي جـ3/107 واحمد جـ5/37/38.
ومن الفاظه: [ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين].
وقد صرح الجميع فيما سبق بسماع الحسن من ابي بكرة، وانه الحسن البصري. قال ابو عبدالله محمد - البخاري - قال لي علي بن عبدالله - اي ابن المديني - انما ثبت لنا سماع الحسن من ابي بكرة بهذا الحديث جـ5/225 بهامش الفتح.
ومن طريق حماد بن زيد ثنا علي بن زيد عنه، رواه أبو داود جـ 4/216/4662 واحمد 5/49، ومن طريق المبارك بن فضالة عنه رواه احمد جـ5/44/51 وابونعيم من طريقه ثنا الوليد الطيالسي عن المبارك عنه، 486 دلائل النبوة، ومن طريق حماد بن سلمة ثنا زياد الاعلم عن الحسن رواه أحمد جـ5/45، ومن طريق آخر رواه أبو داود جـ4/216.

فالكلام بعد ذلك ان كان لرعاية الحق فصاحب الحق سلمه اليه وان كان لنشر الباطل فذلك عمل العاطل، والله عليم بما كان ويكون ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يعْمَلُونَ﴾ [133].

الأئمة المجتهدون

ونعتقد أن الأئمة المجتهدين من الصحابة والتابعين وتابع التابعين كانوا على حق، ذلك لانه لما كان الناس مكلفين بالاحكام وقد فات عهده صلى الله عليه وسلم ليسألوه ويأخذوا الجواب منه لم يكن بُد من السعي في تحصيل العلم بالاحكام ونشرها بين المسلمين، فجدوا وسعوا سعيا حثيثا الى ان ميزوا بين النص والظاهر والمجمل والمبين والعام والخاص والمطلق والمقيد والناسخ والمنسرخ، واطلعوا على موارد نزول الآيات، واسباب السنن 69 النبوية، وفرقوا بين المتواتر منها والآحاد وبين المشهور وغيره وبين الصحيح والحسن والضعيف من حيث الاسناد، واطلعوا على مواد الاجماع والاختلاف والاكثرية والاقلية واطلعوا على أقوال علماء الصحابة ومواد التعارض بين الأدلة الظنية واكتسبوا العلم بالمرجحات، وبذلك صاروا مستعدين للاستدلال حيث صاروا متفقهين وفاهمين للاحوال، وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ((اذا حكم الحاكم واجتهد واصاب فله اجران واذا حكم واجتهد واخطأ فله اجر)) اخذوا يجتهدون وظهر في المسلمين مجتهدون كثيرون، ومنهم الامام ابو 70 حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي والامام مالك بن انس والامام محمد بن ادريس الشافعي المطلبي والامام احمد بن حنبل وغيرهم كالسفيانين والسعيدين والأوزاعي، ولكن الله تعالى وفق الأئمة الأربعة لتدوين مذاهبهم فاخذ المسلمون يعملون بها دون الآخرين، فلم يكن لهم الحظ الوافي في العمل بما اخذوه، وذلك لان الانسان اذا لم يدون مذهبه لايعلم طريق استنباطه للاحكام فان للاستنباط اصولا مرعية مبنية على معرفة المفردات والتراكيب ودلالاتها، فان الامر يستعمل للوجوب والندب والاباحة والارشاد وغيرها، والنهي يرد للتحريم والكره والارشاد وغيرها، والعام قطعي الدلالة عند

---

[103][133] آية (134، 141) سورة البقرة.

بعض وظنيها عند آخر، والنهي يدل على الفساد عند بعض دون الآخر، والمتكلم يدخل في عموم كلامه عند بعض ويخرج عند آخرين، فلا يعلم بدون تدوين مذهب المجتهد كيفية استنباطه للاحكام.

فتقرر أن من دون مذهبه يعمل باقواله ومن لم يدون لم يعمل بها، وبذلك صار المجتهدون المشرفون مصابيح الآفاق للانام ومقاييس استنباط الأحكام ودرلج على مفاهيم العلماء عملا بقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [134] وبقوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [135].

ومن وصل الى درجة اولئك الفقهاء علما فله حظه، ولا مانع من ان يعمل بالنصوص من الكتاب والسنة حسب قوته واستعداده، ومن لم يصل اليها وجب عليه تقليد احد الائمة المجتهدين، ولا يجوز له قطعا أن يستبد

<71>

---

[134] آية (42) سورة النحل وسورة الانبياء آية (7).

[135] آية (76) سورة يوسف.

باخذ الأحكام، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يسْتَوِي الَّذِينَ يعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يعْلَمُونَ﴾ [136].

والسلف الصالحون كانوا على هذا المسلك، اي ان من وصل اليها استبد بالاخذ منهما ومن لم يصل توقف سائلا عمن يأخذ بيده، والائمة الكبار الذين لم يقلدوا أحدا كانوا علماء بالكتاب والسنة على المنهج الذي بينته، وهم امثال سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والأوزاعي والسفيانين[137]، وغيرهم من الناس العامة الذين لاعلم لهم يجب عليهم التقليد والا فاللامذهبية طريق للطريد الشريد ﴿أَفَمَنْ يمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يمْشِي سَوِيا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [138] قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [139].

آداب الاولياء والصالحين

ونعتقد ان الاداب التي عمل بها السلف الصالح من الصحابة والتابعين والاخرون منهم كالقاسم بن محمد وجعفر الصادق والحسن البصري ومن اقتدى به المشهور الآن بطريقة جنيد بن محمد حق مبني على اتباع الكتاب والسنة السنية والاخذ بالعزائم والورع عن الشبهات وتزكية النفس عن الرذائل والدناءات وتحليتها بالفضائل من الاعتقادات والأعمال الصالحات، وليس فيها انحراف قيد شعرة، وذلك ظاهر عند اهل الشعور. 72 وايضاح المقام انهم لما تلوا من آيات الكتاب قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(20)﴾ وقوله الكريم خطابا

---

[136] آية (9) سورة الزمر.
[137] في المخطوط " والسفيانان "
[138] آية (22) سورة الملك.
[139] آية (108) سورة يوسف.

للحبيب: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ وقوله:
﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ
وَالْعَشِيِ يرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ وقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ
مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾
وقوله: ﴿أَفَرَأَيتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾
وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ
الْمَأْوَى(41)﴾ وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَيعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ وقوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ
عِبَادِنَا آتَينَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ
لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (1)وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ
73 الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2)
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ(3)﴾ وقوله:
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيعْبُدُونِ﴾
وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ﴾ وقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾
وقوله: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وغيرها من الآيات
الكريمة الموجهة للقلوب الى الله تعالى
والمحرضة على ذكره والاشتغال بما يقرب
العبد اليه، كقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي
أَذْكُرْكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾
وقوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ﴾ وقوله: ﴿الَّذِينَ يذْكُرُونَ اللَّهَ
قِيامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيتَفَكَّرُونَ فِي
خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقوله تعالى:
﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الى غيرها

من آيات الذكر التي كادت ان تساوي آيات الأحكام، ورأى الصدر الاول حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم متصفا برعايتها ومطبقا لمدلولها بقدر الامكان وصائما وقائما ودائم الذكر وكثير الحزن ووافر الحضور والرهبة من هيبة ربه القدير العليم، ورغب الامة فيها وفي الجهاد والاجتهاد والتقرب منه تعالى والابتعاد عن زخارف الدنيا الدنية ومطامعها 74 الفادسة الوقتية اقبلوا على تطبيق الدين بالمعنى الكامل اعتقادا وعملا وذكرا وفكرا وصياما وقياما وجهادا في سبيله فصاروا اقباسا مشعلة مستنيرة من الرسول صلى الله عليه وسلم واخلاقه العظيمة واعماله الكريمة وصدره السليم الماليء من الحكمة كالبحر المحيط الهادي، فأخذ كل بقدر احسان الباري من مياه الحياة والسعادة الابدية مااخذوا واستفادوا من ذلك الفيض الجاري انهارا جارية الى قلوب الموفقين من عباد الله وغرسوا اشجار الحكمة في العالمين وسقوها بما عندهم من ذلك النهر الجاري الى يوم الدين فتحقق بذلك مصداق قوله تعالى خطابا لحبيبه الامين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ .

فتبين ان ماكانوا عليه هو حقيقة الإيمان والإسلام، لانهم اقتبسوا من نور الحبيب فسعوا في سلوك سبيله بالاستقامة واتبعوا سنته السنية بالعافية والسلامة فانشرحت صدورهم واطمأنت قلوبهم وزالت عن عيون بصائرهم الصافية غشاوة الغباوة فصفت سريرتهم وحسنت

سيرتهم وتركوا منازل الأهواء وصعدوا الى مشاهد المراقبة والحضور مع الله ففاضت عليهم الانوار بلا حساب وانكشفت مام قلوبهم الحجاب ورأوا بعيون البصيرة مايدهش العقول والالباب فصاروا اقباسا من النور وحصل لمن سلك سبيلهم وجالسهم واستأنس بادابهم الشهود والحضور، فكلما صعدوا على مصاعد العلو في المقام نزلوا على منازل التواضع مع الانام وكلما زادت رفعتهم زادت رهبتهم من الملك العلام وبذلك خدموا دين الإسلام وادبوا امته بفضائل الاخلاق وصاروا سادة في الآفاق، وقد الهم كثير منهم امورا نافعة في الدنيا والدين وظهرت منهم كرامات وخوارق مكشوفة لاهل اليقين،

وذلك من توابع معجزات المرسلين وكفاك منها ماظهر لمريم بنت عمران فقال تعالى ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيهَا زَكَرِيا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يا مَرْيمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يرْزُقُ مَنْ يشَاءُ بِغَيرِ حِسَابٍ﴾([140]) ويتلو ذلك من الكتاب ماظهر على يد آصف بن برخيا حيث يقول الباري جل شأنه: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يرْتَدَّ إِلَيكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ [(141)] وفوق مقدار الكافي ماجرى على اصحاب الكهف ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [(142)]ويحقق وجود الكرامة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [(143)] وكيف لايسكن قلب المسلم عندما يتلو قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْياهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [(144)].

وفي الاحاديث الشريفة مايكفيكم اويغنيكم حيث روى الرسول الكريم عن ربه تبارك وتعالى قوله: ((ومازال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده

([140]) آية (37) سورة آل عمران.

([141]) آية (40) سورة النمل.

([142]) آية (25) سورة الكهف.

([143]) آية (30) سورة فصلت.

([144]) آية (21) سورة الجاثية.

التي يبطش بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه)) [145]
رواه البخاري.
<76>

[145] رواه البخاري جـ11/292 عن ابي هريرة ، ورواه أحمد من طريق عبد الواحد مولى عروة عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [من اذل لي وليا فقد استحل محاربتي ، وماتقرب الي عبدي بمثل أداء الفرائض، ومايزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه، أن سألني اعطيته وان دعاني احببته، ماترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن وفاته، لأنه يكره الموت واكره مساءته].
قال ابي - اي احمد بن حنبل. وقال أبو المنذر قال: حدثني عروة قال : حدثتني عائشة ، وقال ابو المنذر [آذيِ لي]. جـ6/256. ورواه ابن ماجة مختصرا عن معاذ بن جبل بلفظ اخر وجزءا منه جـ2/1320/3989. وفيه ابن لهيعة.
وروي من طرق : منها مارواه أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا والبيهقي في الزهد من طريق عبد الواحد بن ميمون عن عروة عنها. ومنها عن أبي أمامة أخرجه الطبراني والبيهقي في الزهد بسند ضعيف ومنها عن علي عند الاسماعيلي في مسنده عن علي وعن ابن عباس اخرجه الطبراني وعن انس اخرجه ابويعلى والبزار والطبراني وفي سنده ضعف وعن حذيفة اخرجه الطبراني مختصرا وسنده حسن غريب وعن وهب بن منبه مقطوعا أخرجه أحمد في الزهد. راجع مجمع الزوائد جـ2/247/248 جـ10/269/271 والمعجم الكبير للطبراني جـ8/206 رقم 7833 وجـ8/221 رقم 7880. وكتاب الزهد للبيهقي 696. ورواه الحاكم في المستدرك عن معاذ بن جبل بلفظ [من عادي ولي الله فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين اذا غابوا لم يُفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة] قال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي جـ4/328.

والذين يأتون الناس بما لا يرضى به الله ورسوله من تحقير شؤون اولئك الصالحين ونسبتهم الى البدعة والضلال فاولئك هم احق بتلك النسبة، لانهم طبقوا الكتاب والسنة حقا فأفاض عليهم ربهم ما افاض جزاء وفاقا ومايتفوهون به من أن تلك الأمور لم تكن في عهد الرسول واصحابه وانما هي من المحدثات فليس له نصيب من الصواب فان الدين الإسلامي له

ثلاث دعائم:

الواجبات عينا وكفاية اعتقادا وعملا.

والسنة المؤكدة كذلك.

والسنة غير المؤكدة من النوافل والتطوعات.

والرسول واصحابه اتوا بجميع مافي الدعامتين الأوليين الا ماشذ وندر، ولم يقع لهم واقعة، وأما الدعامة الأخيرة فلم يستوعبوه. ولن يستوعبه جميع الامة الى يوم الدين لانها تطوعات داخلة في عموم الأفكار والاذكار والحسنات وسائر وجوه البر، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيرًا فَهُوَ خَيرٌ لَهُ﴾ [146] وقال: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [147] وقال: ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [148] وقال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [149] الى غير ذلك من الأيات الصريحة في توسيع دائرة الاعمال الصالحة من النوافل والمستحبات ومايبديه الانسان من نفسه حسب ممارسته للخيرات.

والضباط هنالك هو النهي، فاذا ورد نهي خاص عن تطوع مخصوص فذلك يترك ولا يعمل به، ومن لم يفتهم الدعامات الثلاث فهو من الجاهلين بالدين[150].

وتبين من هنا أن معنى المحدثات والأحداث في حديث ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها وحديث أبي نجيح عرباض بن سارية السلمي هو

---

[146] آية (184) سورة البقرة.

[147] آية (158) سورة البقرة.

[148] آية (77) سورة الحج.

[149] آية (20) سورة المزمل.

[150] وردت هذه الزيادة في المخطوط "على ان تزكية النفس من الواجبات"

الذي خالف الدين وعارضه بالاخلال بشرط من الشروط او ركن من الأركان او فرض شيء لم يكن مفروضا او ندب مالم يكن مندوبا، والا وقع الانسان في مشاكل ومزالق لايخلص منها الى اللقاء، ومايقال من أن تلك الصورة او الهيئة الاجتماعية أو الانفرادية لم تكن سابقا فهو مذموم فمردود بان الامور المطلقة اجناس مبهمة مدلولها الأفراد المنتشرة، والاوامر المطلقة تبقى على اطلاقها، والا فأي عمل من الأعمال حتى من الواجبات انما يحصل في بعض الأزمنة او الامكنة او الاحوال التي لم تكن مقصورة في البال فضلا عن وجوده في عهده صلى الله عليه وسلم.

فاعلموا أن المدار على النهي الوارد لا على طعن الجاهل المارد اعاذنا الله تعالى واياكم من شبكة الوسواس الملقاة امام الناس وعلى الله التوكل وبه الاعتصام.

ثم ان اي عمل مشروع قام به اولئك الصالحون او اتباعهم من الخلوة والذكر والصيام والقيام والجوع والسهر وقلة الكلام والمنام والطعام كان نظيره موجودا في الرسول واصحابه اصحاب الصُفَّة الذين داوموا على عبادة الله تعالى في الايام والليالي، وكلما اقتضى الأمر خروجهم للجهاد في سبيل الله كانوا حاضرين وناصرين لدين الله.

واما حمل تلك الأعمال الشريفة على مايسمى بالرهبانية ويقال في ردها(لارهبانية في الإسلام) فعمل من لايخاف ربه ولا يرهب منه ولا ينصف، لان الاعمال التي يقوم بها اهل التقوى من المسلمين لها اساس في الدين ويدخل في التطوع، واما الرهبانية المتمثلة في التبتل والانقطاع عن العائلة والأمور الاجتماعية الإسلامية فلم يكن لها أصل في دين عيسى

عليه السلام، كما يقول تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [151] على أنهم لو كانوا يراعونها حق رعايتها ماكانت ترد عليهم، ولذلك قال تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [152] اي واما القليل من الذين راعوها حق رعايتها فهم صادقون.

والدليل على ذلك تقرير الرسول صلى الله عليه وسلم لاحوال اهل الصفة ولم ينكر عليهم قطعا.

وانما اطنبت الكلام في الموضوع كي يفتهم المسلمون ان تلك الأحوال والاعمال التي قام بها اهل الصفة ويقوم بها الزاهدون في العالم الإسلامي حق يجب النظر اليها بالتسليم.

المقصد السادس مما اخبر به صلى الله عليه وسلم - المعاد الجسماني

وهو ان تحشر الأجساد وتعاد فيها الأرواح سواء كان بجميع الاجزاء الاصلية الموجودة المجتمعة أو المتفرقة المتحولة، فان عقيدة المؤمنين على أن الأرواح حادثة ومخلوقة من العدم، وبعد خلقها لاتفني وهي تبقى خالدة، واذا مات الانسان خرجت عنه الروح، أي انقطعت علاقتها الكاملة بالبدن لكن تبقى لها علاقة، كما بين عالم الدنيا وعالم الأخرة، فاذا جاء يوم البعث والنشور تعود الأرواح الى اجسادها الأصلية كما في عالم الدنيا بل اقوى.

وذلك المعاد جائز عقلا وثابت نقلا وعليه ادلة قاطعة لامجال فيها للريب، وهذا المعاد انما يكون بعد خراب هذا العالم الموجود المحسوس.

والخراب يكون بنفخ اسرافيل في الصور بامر الله تعالى فتتزلزل الأرض وتندك الجبال، قال تعالى: ﴿وَيسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ ينْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [153]

(151) آية (27) سورة الحديد.

(152) آية (27) سورة الحديد.

(153) آية (105 - 106 - 107) سورة طه.

وتنفطر السموات وتكور الشمس ويخسف القمر وتتناثر الكواكب ويتغير منار الكائنات ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [154] قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيامٌ ينْظُرُونَ﴾ [155].

ولما كان احوال اهل البرزخ من مقدمات الآخرة استحب ان نذكرها قبل المعاد.

سؤال الملكين

فنقول: اذا مات الانسان باي سبب كان في البر او في البحر ودفن ام لم يدفن وبقي جسده او مُزِّق دخل في طور آخر من السعادة او الشقاء وذلك باعادة علاقة الروح اليه بقدر مايتنعم اويتعذب او يتألم، فان سؤال الملكين عنه ثابت ونعيمه او عذابه في البرزخ حق وواقع، وتخصيص القبر بالذكر في الحديث الشريف للغالب. كما في قوله: ((اذا قبر الميت اتاه ملكان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ماكنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم وفي الخلق اجمعين؟ فان كان مؤمنا فيقول هوعبدالله ورسوله، أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفتح له في قبره سبعين ذراعا في سبعين ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له: نَمْ، فيقول: ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له: نَمْ كنوم العروس الذي لايوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك. وان كان منافقا فيقول: سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلهم، لاادري، فيقولان: قد كنا نعلم انك تقول ذلك، فيقال للارض: التأمي عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال فيه معذبا حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك)) [156]. انتهى.

---

[154] آية (48) سورة ابراهيم.

[155] آية (68) سورة الزمر.

[156] رُوي هذا الحديث بالفاظ متعددة ومن طرق عن قتادة عن أنس: فمن طريق ابن رزيع حدثنا سعيد حدثنا قتادة جـ3/165/188 البخاري بهامش الفتح. ورواه مسلم عن طريق يونس بن محمد حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة جـ17/203 بهامش النووي. والنسائي جـ4/97 واحمد جـ3/126 ورواه أبو داود من طريق عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة جـ4/238/4751 ومسلم جـ17/204. ورواه الترمذي من طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة جـ2/162 بهامش التحفة. ومن طريق زريع المتقدم عن انس رواه مسلم جـ7/204 والنسائي جـ4/97 ورواه احمد من طريق روح بن عبادة ثنا سعيد عن قتادة عن انس ج3/126 ورواه مسلم جـ17/203 واحمد 3/126 من طريق

يونس بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة، ومن طريق المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب رواه احمد جـ4/287/288 وابو داود جـ 4/439/4753 ، وسأذكر الحديث بتمامه في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى.

[148] رواه أبو داود جـ3/215/3221 حدثنا ابراهيم بن موسى الرازي ثنا هشام عن عبدالله بن بحير عن هاني مولى عثمان عن عثمان بن عفان - قال : كان النبي صلي الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه - اي عنده . فقال : [استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فانه الآن يسأل].

وظاهر هذا الحديث الشريف اختصاص الضغطة بامثال ذلك الانسان الذي لاجواب له ينفعه، ولكن الأدلة متظاهرة على عمومها للاموات، وذلك الحديث الشريف دليل على سؤال، القبر ويدل عليه روايات اخرى، وماصح انه صلى الله عليه وسلم امر اصحابه أن يدعوا بالتثبيت لاخيهم المدفون، فقال: ((سلوا الله لاخيكم التثبيت فانه الان يسئل)) [157].

وقال السيوطي في منظومته المسماة بالتبصرة:

<82>

157

والآية السؤال فيها كائن ﴿يثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ [158]

يعني ان الذين آمنوا ايمانا صادقا واقروا باللسان به على وجه الصدق يثبت الله تعالى السنتهم على جواب الملكين بعد السؤال.

والادلة على عذاب القبر كثيرة منها قوله تعالى في شأن غرقى طوفان نوح عليه السلام: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [159] والفاء للترتيب بلا فاصلة، فكان ادخالهم النار في عالم البرزخ، ومنها قوله تعالى في شأن الأقباط: ﴿النَّارُ يعْرَضُونَ عَلَيهَا غُدُوًّا وَعَشِيا وَيوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [160] ومنها قوله: ((القبر اما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران)) [161]. ومنها انه مر بقبرين فقال: ((انهما ليعذبان ومايعذبان في كبير، بلى انه كبير عند الله، اما احدهما فكان يمشي بالنميمة واما الآخر فكان لايستبريء من البول)) [162].

[158] آية (27) سورة ابراهيم.

[159] آية (25) سورة نوح.

[160] آية (46) سورة غافر.

[161] رواه الترمزذي (2460) قال: هذا حديث حسن غريب لانعرفه الا من هذا الوجه.

[162] رواه البخاري جـ1/جـ3/189جـ10/392 بهامش الفتح ومسلم جـ1/166 بهامش النووي وابو داود جـ1/6/ رقم 20 والنسائي جـ1/28/29/30 والترمذي جـ1/102/103 والدارمي جـ1/188/189 ابن ماجة جـ1/125/ رقم347 والبيهقي جـ1/104 واحمد جـ1/225. عن ابن عباس رضي الله عنهما [... انهما يعذبان ومايعذبان في كبير، ثم قال : بلى كان احدهما لا يستر من بوله وكان الاخر يمشي بالنميمة، ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة ، فقيل له يارسول الله : لم فعلت هذا؟ قال : [لعله أن يخفف عنهما مالم تيبسى] وهذا لفظ البخاري .
ورواه أحمد من غير هذا الطريق جـ1/39/266 وورد الحديث بلفظ (الغيبة) بدل النميمة.

التنعيم والتعذيب في القبر للروح والجسد

ونعتقد أن العذاب في القبر للروح والجسد، وكذا التنعيم لكن الجسد جسد برزخي لايرى اثره بالعيون، فانا مؤمنون بان جبريل عليه السلام كان يتمثل احيانا بصورة انسان يراه الرسول صلى الله عليه وسلم دون اصحابه الحاضرين عنده، قال الامام الغزالي رحمه الله في الإحياء: اعلم أن لك ثلاثة مقامات في التصديق بامثال هذا:

احدها وهو الاظهر والاسلم والاصح ان تصدق بان الحية مثلا موجودة تلدغ الميت، ولكنا لانشاهد ذلك، فان هذه العين لاتصلح لمشاهدة تلك الأمور الملكوتية، وكل مايتعلق بالأخرة فهو من عالم الملكوت، اما ترى ان الصحابة - رضي الله عنهم - كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وماكانوا يشاهدونه، ويؤمنون بانه صلى الله عليه وسلم يشاهده، فان كنت لاتؤمن بهذا فتصحيح الإيمان بالملائكة والوحي اهم عليك، وان آمنت به وجوزت أن يشاهد النبي عليه الصلاة والسلام مالاتشاهده الامة فكيف لايجوز هذا في الميت..

المقام الثاني: أن تتذكر امر النائم، فانه يرى في النوم حية تلدغه وهو متألم بذلك، حتى تراه في نومه يصيح وتعرق جبهته وقد ينزعج من مكانه، كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهويشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا ولاترى في حواليه حية والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل له، ولكنه في حق غيره غير مشاهد، واذا كان العذاب الم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد.

المقام الثالث: أن تعلم أن الحية بنفسها لاتؤلم، بل الذي يلقاك منها هو السم، ثم السم ليس هو الالم بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك

من السم، فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكان ذلك العذاب قد توفر وقد كان لايمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف الى السبب الذي يفضي اليه في العادة، والصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت، فيكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود الحيات. انتهى.

ونحن نرجح المقام الأول ونستأنس له[163] بوجود الملك مع الانسان ولا يراه، ووجود الجن مع الانسان عند الوسوسة ولا يراه، والإيمان هو الإيمان بالغيب واما المشهود فلا تحتاج الى مجهود ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[164].

ويجب أن يعلم أن عالم البرزخ يستمر الى حلول عالم الأخرة، وفي هذا البرزخ كما يوجد العذاب والنعمة تتزاور الارواح السعيدة بعضها مع بعض.. وجمهور السلف على أن هذه الحياة حياة حقيقية وانها للروح والجسد، ولكن الجسد جسد برزخي ولايدرك بالعين المجردة في هذه النشأة، وانما يدرك بعين البصيرة لمن شاء الله، وممن صرح بهذا القول ابن عباس وقتادة ومجاهد والحسن وجماعة من المفسرين.

وذكر ابن عبد البر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: ((ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه)) [165] ويروي هذا من حديث أبي هريرة مرفوعا قال: ((فان لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام)) [166].

[163] في المخطوط " فيه"

[164] آية (8) سورة آل عمران.

[165] رواها ابن عبد البر في التمهيد والاستذكار، نقلها عنه القرطبي في التذكرة (145) قال صححه ابو محمد عبد الحق.

[166] رواها ابن عبد البر في التمهيد والاستذكار، نقلها عنه القرطبي في التذكرة (145) قال صححه ابو محمد عبد الحق.

قال: يروي من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: ((ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده الا استأنس به حتى يقوم)) [167].

واحتج الحافظ ابو محمد في هذا الباب بما رواه أبو داود في سننه عن ابي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مامن احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتي ارد عليه السلام)) [168].. وصح عن عمرو بن دينار انه قال: ((مامن ميت يموت الا وهو يعلم مايكون في أهله بعده وانهم يغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم)) [169].

<86>

---

[167] رواه ابن عبد البر كما تقدم قريبا.

[168] رواه ابو داود جـ2/218 واحمد جـ2/527 من طريق ثنا حيوة ثنا ابو صخر ان يزيد بن عبدالله بن قسيط أخبره عن ابي هريرة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : ...، واللفظ الذي ذكره المصنف لابي داود.
وقد روى احمد عن معاذ بن جبل قال لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن خرج معه رسول الله صلي الله عليه وسلم ومعاذ راكب ورسول الله يمشي تحت راحلته فلما فرغ قال : [يامعاذ انك عسى أن لاتلقاني بعد عامي هذا او لعلك أن تمر بمسجدي هذا او قبري]. فبكى معاذ جشعا لفراق رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم التفت فاقبل بوجهه نحو المدينة فقال : [ان أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا]. وقد رواه من طريقين آخرين وفي اثنين منهما راشد بن سعد. جـ5/235.
وقد روى الحاكم جـ2/595 عن أبي هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ليهبطن عيسى ابن مريم حكما عدلا واماما مقسطا، وليسلكن فجا حاجا او معتمرا او بينهما وليأتين قبري حتى يسلم علي ولأردن عليه].
يقول أبو هريرة أي اخي ان رأيتموه، فقولوا: ابو هريرة يقرئك السلام.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا السياق، ووافقه الذهبي .

[169] ذكره في كتاب الروح قال : وصح عن عمرو بن دينار (١٧) ط النعمانية حيدر آباد الهند.

أمارات الساعة

وقد صح انه صلى الله عليه وسلم ذكر لمجييء الساعة امارات، قال حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه: ((اطلع علينا رسول الله ونحن نتذاكر، فقال: (ماتذاكرون) قلنا: نذكر الساعة، قال: انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم و[170] يأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم)) [171].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة والقدر المشترك منها يصل حد التواتر

<87>

---

[170] في المخطوط "و خروج".

[171] رواه مسلم في صحيحه جـ18/26 - 27 - 28. وابوداود جـ 4/114/311 وابن ماجة جـ2/1347/4055 احمد جـ4/6/7 من رواية فرات القزاز عن أبي الطفيل عن حذيفة بن اسيد قال : اطلع علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم ونحن نتذاكر، فقال: [ماتذاكرون؟] قلنا: الساعة ، قال : [انها لن تقوم الساعة حتى ترون قبلها عشر آيات] فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم صلي الله عليه وسلم يأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم] . واللفظ لمسلم.
ورواه غير واحد عن فرات القزاز. ورواه ابو الطفيل عن ابي سريحة.
قال الامام النووي هذا الإسناد مما استدركه الدارقطني وقال لم يرفعه غير فرات عن ابي الطفيل من وجه صحيح قال ورواه عبد العزيز بن رفيع وعبد الملك بن ميسرة موقوفا. أهـ. هذا كلام الدارقطني قال الامام النووي : وقد ذكر مسلم رواية ابن رفيع موقوفة كما قال، وهي في جـ18/29 قال : ولايقدح هذا في الحديث فان عبد العزيز بن رفيع ثقة حافظ متفق على توثيقه، فزيادته مقبولة أهـ. جـ18/27.
وقد رواه الحاكم من طريق آخر مع اختلاف يسير في اللفظ عن واثلة بن الاسقع . قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه عليه الذهبي. جـ4/428.

وذكرها بالتفصيل في الكتب المطولة لاسيما فتح الباري في بحث الدجال، وشرح صحيح مسلم للنووي في نزول سيدنا عيسى عليه السلام ومن اراد فليراجعها[172].

وفي صحيح البخاري في كتاب الفتن ((ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولايطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لَقْحَتِهِ فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه، ولتقومن وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها)) [173]

واذا جاء وقت حلول الساعة فالامر سهل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[174] ويأمر بالنفخ في الصور فينفخ الملك فيه فيموت كل ذي روح وتبقى الدنيا خالية، ويقال مدة اربعين سنة، واذا جاء وقت البعث يأمره بالنفخ فيه ثانيا وتعود الارواح الى الابدان كلها، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يا وَيلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [175].

---

[172] رواه البخاري جـ13/77 - 78 وبنفس الاسناد ساقه في كتاب الرقاق جـ11/303 بهامش فتح الباري. وأوله [لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها..] وفي باب الفتن أوله [لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان ...].

[173] راجع تفسير روح المعانى عند قوله تعالى { يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ }.

[174] آية (77) سورة النحل.

[175] آية (51 - 52) سورة يس.

البعث

وبيان ذلك أن الأرواح حادثة، أي أنها موجودة فخلقها الله سبحانه وتعالى ثم تعلقت بالاجساد قبل الولادة فتبقى العلاقة الكاملة إلى الموت والعلاقة تضعف اذ ذاك نوعاما الى نهاية عالم البرزخ وحلول العالم الثاني، فيجمع الله تعالى اجزاء البدن كلها وتتعلق بها الروح كما كانت، فيساق الناس الى ارض المحشر، قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [(176)].

وجاء في سوق الناس الى المحشر روايات، والواقع أنه يختلف باختلاف الناس كفرا وايمانا، والمؤمنين بحسب الدرجات طاعة[(177)] وعصيانا، والابدان التي تعود اليها الأرواح في الآخرة مركبة من الأجزاء الأصلية الرميمة، لقوله تعالى: ﴿قُلْ يحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [(178)] ومن العلماء من يقول انها تتركب من مثل تلك الأجزاء فيما اذا لم تبق بحالها وتحولت الى عناصر اخرى[(179)]، واخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿أَوَلَيسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [(180)].

---

(176) آية (21 - 22) سورة ق.

(177) في المخطوط " اطاعة"

(178) آية (79)سورة يس.

(179) راجع تفسير روح المعاني { يوم نطوي السماء}، وراجع شرح المقاصد ؟؟؟ ص82

(180) آية (81) سورة يس.

ومايقال: ان الاجزاء اذا لم تكن عين الاجزاء الموجودة في الدنيا كيف تعذب بلا جريمة، مردود لامرين:

الأول: ان اجزاء البدن لاتبقى في الدنيا بعينها فانها في تدرج التحلل والتبدل دائما كالشعور والاظفار، ولكن الانسان لايشعر بذلك.

والثاني: ان اجزاء البدن كاللباس، وهي وان كانت معذبة مع الروح في الأخرة لكن عذابها بسبب عذاب الروح وعلاقتها بها، الا ترى عدم الشعور بالألم عند التخدير التام.

وعلى كل حال فالمكلفون من الجن والانس يحشرون على حسب اقدارهم ومستوى ايمانهم واعمالهم في صعيد واحد كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآَخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [181].

(181) آية (49 - 50) سورة الواقعة.

الحشر

واعلم أن الناس يحشرون على ما كانوا عليه عند الموت، عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((يبعث كل عبد على مامات عليه)) [182] يعني انه من مات على خير بعث على خير ومن مات على شر بعث عليه، اعاذنا الله برحمته.

والناس في مبدأ البعث والحشر تخيم عليهم الهيبة والمخافة والفزع الا من أمنه الله تعالى وجعله في ظل كرمه وحشره مع من احبه من صاحب شريعته او خيار امته، عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: ((يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا)) [183] رواه الشيخان.

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

<91>

---

[182] رواه أحمد جـ3/345 - 246. في حديث طويل [... قال جابر: فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : [يبعث كل عبد في القبر على ما مات ، المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه].
قال الهيثمي : ورواه الطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة وفيه كلام، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد جـ3/48.

[183] رواه البخاري جـ11/326 . بهامش الفتح ومسلم جـ17/194/195 والنسائي جـ4/115 من طريق وهيب بن خالد أبو بكر قال حدثنا ابن طاوس عن ابيه. ورواه أحمد جـ5/165 والنسائي جـ4/115/116 من طريق الوليد بن جُميع حدثنا ابو الطفيل عن حذيفة عن أبي ذر قال ان الصادق المصدوق حدثني : [ان الناس ....]. ورواه الحاكم ايضا جـ 4/564.

يقول: ((انكم تحشرون رجالا وركبانا وتجرون على وجوهكم)).[184]
رواه الترمذي وهذه الأحوال المذكورة في هذه الرواية الثابتة بعض من احوال المحشورين، فهي تختلف بالسيء والاسوء والحسن والاحسن بدرجات كثيرة لايعلمها الا الله تعالى، فان اهل البعث بالاجمال اصناف ثلاثة.

الموقف الرهيب

السابقون واصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ولكل فرد من أفرادها درجة معينة ونتائجها مذكورة بالاجمال في سورة الواقعة، فكل مايروى من اسباب الراحة والاعتبار او التعب والعذاب والاضطرار فهو ثابت مطابق للواقع، ونرجوا الله تعالى أن يجعلنا في المرحومين لا المحرومين انه سميع مجيب لدعاء السائلين.

والموقف رهيب مخوف يستوعب الناس الا من شاء الله، يقول تعالى: يوْمَ يفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يوْمَئِذٍ شَأْنٌ يغْنِيهِ [185]

---

[184] رواه أحمد من طريق يزيد ثنا بهز عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله اين تأمرني؟ قال : (ههنا)، ونحا بيده نحو الشام، وقال : [إنكم محشورون رجالا وركبانا، وتجرون على وجوهكم]. جـ5/3 والترمذي من لفظ [إنكم....]. جـ3/294 بهامش تحفة الأحوذي ط الهند، ومن طريق يحيى عن بهز رواه احمد جـ5/5 مع اختلاف يسير في الجزء الأول منه.
ورواه من طريق شبل بن عبادة وابن أبي بكير ثنا شبل بن عبادة المعنى سمعت أبا قزعة يحدث عن عمرو بن دينار يحدث عن حكيم البهزي .. جـ4/446 - 447 مع اختلاف يسير في اللفظ.

[185] آية (34 - 37) سورة عبس.

ويقول: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [186] ويقول: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَي الْقَيومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [187].

وقد ذكر العلماء المحققون اخذا من الجمع بين نصوص الآيات والاحاديث الشريفة أن الرهبة والخوف وان عَمّا كل مؤمن لكن العذاب المهين المحقر الذي خرج عن العادة انما هو بالنسبة الى الكفار بأصنافهم والى اهل الضلال والفسوق من المؤمنين، لان هناك من الأدلة مايطمئن القلب ويريح النفس. من جملتها ان احوال الموقف يمر على المحبوبين كزمان صلاة فريضة صلاها في وقتها بأدب وسلامة، فنسأل المولى اللطيف الرؤوف الرحيم أن يجعلنا منهم بفضله وكرمه انه قريب مجيب.

وكما روي من نجاة السابقين السابقين واصحاب اليمين والصالحين وان من الناجين السبعة الذين يجعلهم الله تعالى في ظل رحمته يوم لاظل الا ظله وغير ذلك من اهل السعادة المرحومين، روي ان الشمس تدنو من رؤوس الخلايق ليتعذب بحرارتها من اراد عذابها[188] من الثقلين وان كل ذلك حق لاشبهة فيه والحكم يختلف بالنسبة الى المحكومين.. فان قلت

<93>

---

[186] آية (108) سورة طه.

[187] آية (111) سورة طه.

[188] في المخطوط " عذابه"

كيف يجمع بين ذلك وبين ماثبت من تكوير الشمس، وانتشار الكواكب وطي السموات؟ قلت أجابوا عن ذلك بان المقصود من تكوير الشمس تحويلها من مستقرها وتقريبها من القمر، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يقُولُ الْإِنْسَانُ يوْمَئِذٍ أينَ الْمَفَرُّ﴾ [189]. او ان المراد منه تكديرها واظلامها وذهاب نورها او تقليله لافناؤها وازالة آثارها، فيجوز أن تبقى على تلك الحالة إلى وقت الحشر ووقوف الناس في الموقف وايذاء المحشورين بحرارتها واشعاعها على من شاء الله تعالى، ولله الأمر من قبل ومن بعد، والا فمعلوم من النص ان العالم يوم القيامة ينور بنور مخلوق من الله تعالى، كما في قوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ [190] الآية..

وهناك يطول الوقوف ويمل الناس ويستغيثون الله ويطلبون الشفاعة من اهلها الى ان يفتح الله تعالى باب رحمته ويتجلى بوصف الرحمن الرحيم..

[189] آية (7) سورة القيامة.
[190] آية (69) سورة الزمر.

الشفاعة

ونعتقد بشفاعة حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين.

ففي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مازال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُزعة لحم وقال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم))، وزاد عبدالله بن صالح حدثني الليث حدثني ابن ابي جعفر ((فيشفع ليقضي بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم)). [191] انتهى نصا باختصار السند وفي هذه الرواية اختصار من اسامي بعض الرسل عليهم السلام.

وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري قوله: ((بحلقة الباب))، اي باب الجنة أو هو مجاز عن القرب، والمقام المحمود هو الشفاعة العظمى

---

[191] رواه البخري جـ6/265 جـ8/300/535 جـ11/340/341 بهامش فتح الباري ومسلم جـ17/195 بهامش النووي من طريق عبيد الله أخبرني نافع عن ابى عمر عن النبي صلي الله عليه وسلم. ومن طريق اخر عن ابي هريرة. عبد العزيز حدثي سليمان عن ثور بن زيد عن ابي الغيث عنه، وعن المقداد بن الأسود من طريق آخر.
ورواه الحاكم من طريق ابن وهيب أخبرني عمرو بن الحارث أن ابا عشانة المعافري حدثه أنه سمع عقبة بن عامر الجهني. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. جـ4/571 المستدرك ورواه من طريق آخر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. جـ4/571. ومن طريق ابن وهب رواه ابن حبان (640) رقم 2583 موارد الظمان. ورواه أحمد من طريق ثنا حسن ثنا ابن لهيعة به جـ4/157 ورواه من طريق آخر، اسحاق بن ابراهيم حدثنا النضر بن شميل حدثنا أبو نعامة حدثنا ابو هنيدة البراء بن نوفل حدثنا والان العدوي عن حذيفة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه جـ1/4/5. وهو حديث طويل. ورواه ابن حبان من نفس الطريق (642) رقم 2589 موارد الظمآن ومن طريق آخر عن انس رواه أحمد جـ3/178 وعن انس ايضا رواه ابن حبان (643) رقم 2590 موارد الظمان وأخر رواه أحمد عن المقداد بن الاسود جـ6/3 ورواه ابو يعلى جـ4/369 المطالب العالية للمحافظ ابن حجر قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن عمير وهو ثقة - أي رجال ابي يعلى. جـ10/335 مجمع الزوائد.

التي اختص بها صلى الله عليه وسلم وهي اراحة اهل الموقف من أهوال القضاء بينهم والفراغ من حسابهم.

<95>

وفي فتح الباري في شرح كتاب الرقاق من صحيح البخاري مانصه ووقع في حديث أبي بن كعب عند ابى يعلى مانصه ((ثم امتدحه بمدحة يرضى بها عني ثم يؤذن لي في الكلام ثم تمر امتي على الصراط وهو منصوب بين ظهراني جهنم فيمرون)) [192] انتهى..

وفيه ان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم حينئذ عند الصراط وحاصل المقصود أنا معاشر المؤمنين نعتقد أن الشفاعة جائزة وواقعة ويدل على جوازها الآيات الكثيرة التي قيدت فيها الشفاعة باذن من الله تعالى، ولو كانت محالا ما كانت تقيد بالاذن، فان الامر الممتنع لاينقلب ممكنا بحال من الاحوال، والآيات الدالة على نفيها محمولة على الشفاعة للكافرين، ويدل على وقوعها

<96>

---

[192] المطالب العالية في زوائد المسانيد الثمانية لابن حجر العسقلاني جـ4/383/4635 وهذا قطعة من الحديث واللفظ المذكور في المطالب ، (امدحه) بدل (امتدحه) (بالكلام) بدل (في الكلام) (وهو مضروب) بدل (وهو منصوب).

أحاديث كثيرة منها ما نقلناه آنفا ومنها ما رواه جابر ((وشفاعتي لاهل الكبائر من أمتي))[193]..

وثبت على ضوء الأحاديث الشريفة أن لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شفاعات:

الأولى: الشفاعة العظمى، المعروفة بالمقام المحمود، وهي اراحة اهل الموقف من أهوال القضاء بينهم والفراغ من حسابهم.

الثانية: الشفاعة لاخراج عصاة المؤمنين من النار، ففي صحيح البخاري في آخر الحديث الذي رواه في كتاب الرقاق قوله صلى الله عليه وسلم: ((فيأتون فأستأذن على ربي، فاذا رأيته وقعت له ساجدا. فيدعُني ما شاء الله، ثم يقال لي: ارفع رأسك وَسَل تُعطَهُ قل يسمَع واشفَع تُشَفَّع، فَأَرفَعُ رأسي فَأَحُمَدُ ربي بتحميد يعلّمنُي، ثم اشفع فيحدّ لي حدَا ثم أخرجهم من النار وادخلهم الجنة ثم اعود فاقع ساجدا مثله في الثالثة او الرابعة حتى ما يبقى في النار الا مَن حَبِسَهُ القرآن))[194] انتهى.

---

[193] رواه أبو داود جـ4/236/4739 والترمذي جـ3/298 بهامش التحفة ط الهند كلا من طريق عن انس بن مالك، ورواه ابن ماجة من طريق الوليد بن مسلم ثنا زهير بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر، ولفظه [شفاعتي يوم القيامة لاهل الكبائر من امتي] ورواه البيهقي من نفس الطريق بسنده. ص١ كتاب البعث والنشور مخطوط ، من غير لفظ (يوم القيامة).

[194] رواه البخاري من طريق مسدد حدثنا ابو عوانة عن قتادة عن أنس جـ11/373 وما بعدها بهامش فتح الباري وهو حديث طويل ورواه مسلم من طرق عن قتادة عن أنس جـ3/53 وما بعدها ورواه من طرق عن ابي هريرة. المصدر السابق بهامش النووي. ومن طريق خالد بن الحرث ثنا سعيد عن قتادة عن أنس رواه ابن ماجة جـ2/1442/4312. ومن طريق حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزي قال اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا الى انس... جـ13/396 البخاري بهامش الفتح. ومسلم جـ3/61 بهامش النووي. ورواه الترمذي جـ3/296 بهامش التحفة من طريق عن ابي هريرة وقول قتادة رواه البخري ومسلم في الصفحات السابقة.

قال قَتَادة: اي من وجب عليه الخلود والعياذ بالله.

الثالثة: الشفاعة في قوم استوجبوا النار بذنوبهم فلا يدخلونها بشفاعته صلى الله عليه وسلم.

الرابعة: الشفاعة لادخال قوم الجنة بغير حساب، عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((وعدني ربي أن يدخل الجنة من امتي سبعين الفا لا حساب عليهم ولا عتاب مع كل الف سبعون الفا)) [195] رواه الترمذي بسند حسن.

الخامسة: الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لبعض اهلها، والله هو الجواد الكريم فقوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها: ((لا اغني عنك شيئا)) [196]. وامثال ذلك اما ورد قبل أن يوحى اليه بوجود الشفاعة منه او

<98>

[195] رواه البخاري جـ11/352 بهامش الفتح من طريق هشيم عن حصين قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال: حدثني ابن عباس. ورواه مسلم واحمد والدارمي والترمذي من طرق وبالفاظ وزيادات انظر مسلم شرح النووي جـ3/88 وما بعدها وابن حبان ، 656 موارد الظمآن وما بعدها والدارمي جـ2/328 والترمذي جـ3/298 بهامش تحفة الاحوذي ط الهند. واحمد من طرق اخرجها البخاري ومسلم جـ 1/6/197/271/321/401/403/454 جـ2/302/351/456 جـ 4/436/441/443 جـ5/250/368/335/413.

[196] رواه البخاري جـ8/352 والدارمي بلفظ [... سليني ما شئت لا اغني عنك من الله شيئا] جـ 2/305 واحمد بلفظ آخر جـ 1/206 جـ2/350.

محمول على الزجر.

السؤال

ونعتقد أن الله تعالى يسأل عباده المكلفين عن اعمالهم، وانه يسئل الرسل عليهم السلام قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيوبِ﴾[197]، يسألهم الله تعالى عن جواب المكلفين للرسل، واجابتهم لهم في التكاليف فينفون العلم عن انفسهم ويحيلونه الى ذاته العليم الخبير، أما لدهشتهم بتجلي الرب سبحانه وتعالى بالرهبة، أو لان الله عالم باحوالهم وهو ارحم الراحمين فلا يرضيهم[198] أن يذكروا معاصي العباد.

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما منكم من احد الا سيكلمه الله ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر ايمن منه فلا يرى الا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا الله ولو بشق تمرة)) [199] رواه الشيخان والترمذي وعن أبي بردة الاسلمي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن عمله فيما فعل وعن ماله من اين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيم ابلاه)) [200]. رواه الترمذي.

[197] آية (109) سورة المائدة.

[198] في المخطوط " يعجبهم"

[199] رواه البخاري جـ 11/350 من طريق حفص حدثنا الاعمش حدثني هيثمة عن عدي بن حاتم قال : قال النبي صلي الله عليه وسلم : ورواه في جـ 13/397 وابن ماجة من طريق وكيع عن الاعمش عن خيثمة عن عدي. جـ1/66/185. والترمذي من طريق هناد عن الاعمش. جـ3/290 بهامش تحفة الاحوذي ط الهند. واحمد من طريق عبدالرحمن وابن جعفر قالا ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن خيثمة. وعبد الرحمن وابن جعفر قالا ثنا شعبة عن محل بن خليفة قال: عبدالرحمن سمعت عدي بن حاتم. جـ 4/256. ورواه البخاري من طريق اسامة عن الاعمش عن خيثمة عن عدي بن حاتم جـ 13/362 فتح الباري.

[200] رواه الترمذي عن ابي برزة الاسلمي جـ 3/291 بهامش تحفة الاحوذي ورواه بلفظ قريب منه جداً.

صحف الأعمال والميزان

ونعتقد بان العباد المكلفين يؤتون صحف اعمالهم، لقوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يا لَيتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ﴾ [201].

عن أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال: ((هل تدرون مم اضحك، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال: يقول: بلى قال: فيقول: فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال: فيختم على فيه، فيقال لاركانه انطقي قال: فتنطق باعماله قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بُعْداً لَكُنَّ وسخطا فعنكن كنت اناضل)) [202].
رواه مسلم.

<100>

---

[201] آية (18 - 26) سورة الحاقة.
[202] رواه مسلم جـ 18/104/105.

ونعتقد ان الميزان حق قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (203) والوزن وكيفيته موكول إلى علم العليم الخبير.

ولا يجب علينا أن نعلم أن نفس الاعمال توزن او صحائفها او انها تبدل باجرام لها وزن وان الميزان هناك كالميزان في الدنيا اولا.

وعندنا موازين للحرارة والبرودة ولضغط الدم وللانواء الجوية ولثقل الاشياء وخفتها.

وظاهر الحديث الشريف أن للميزان هناك كفتين احدهما للحسنات والاخرى للسيئات ويجوز أن يبقى على ظاهره لانه امر ممكن اخبر به الصادق ولا موجب للعدول عنه.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ان الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلايق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول الله: أتنكر من هذا شيئا اظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول، لا يارب فيقول: أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول: بل ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها اشهد لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله، فيقول احضر وزنك فيقول: يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: انك لاتظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء)) (204) رواه الترمذي.

---

(203) آية (47) سورة الانبياء.

(204) رواه الترمذي وأحمد من طريق ابن المبارك عن ليث بن سعد حدثني عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الحُبَلي قال سمعت عبد الله بن عمر وبن العاص يقول سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم :... الترمذي جـ3/367 بهامش تحفة الأحوذي ط الهند ومسند الإمام أحمد جـ 2/213.

ونعتقد بالصراط، وهو قنطرة ممتدة على النار بعد أن ينتهي الناس من المحاسبة والميزان يؤمرون بالمرور عليه فاهل النار يقعون فيها وأهل الجنة يمرون عليها على اختلاف درجات السرعة ولكن ينال بعضهم شدائد نسأل الله السلامة عنها. عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد حديث طويل رواه البخاري في الرقاق ((ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون اول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم احد يومئذ الا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم)) [205] رواه الشيخان.

<102>

---

[205] رواه البخاري ومسلم وأحمد من طرق عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن ابي هريرة رضي الله عنه. وهو حديث طويل أوله حديث رؤية الله تبارك وتعالى . فتح الباري جـ 11/387/388/389. جـ 13/357/358 ومسلم جـ 3/17/18/19.بهامش شرح النووي واحمد 2/275/293/533 ومن طريق عبد الرحمن بن اسحاق ثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه جـ 3/16 وعن أبي سعيد ايضا من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عنه جـ 3/16 ومن طريق هيثم ثنا حفص بن ميسرة عن العلاء عن ابي هريرة . جـ 2/368/369. ولفظ البخاري قال أناس : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال صلي الله عليه وسلم : [هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب]؟ قالوا: لا يا رسول الله . قال صلي الله عليه وسلم : [هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب]؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : [فانكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله الناس فيقول: [من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس ويتبع من كان يعبد القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها ....] ويضرب جسر جهنم، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : [فاكون اول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ غير أنها لا يعلم عظمها الا الله فتخطف الناس باعمالهم....].

وروى مسلم في الإيمان عن ابي هريرة وعن حذيفة رضي الله تعالى عنهما انه ((ترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمروا أولكم كالبرق قال: قلت: بأبي أنت وامي أي شيء كمر البرق قال الم تروا الى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم اعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: يارب سلم سلم، حتى تعجز اعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع الا زحفا، قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة باخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار)) [206] اي فالمخدوش[207] من المتقين والمكدوس من الظالمين. وقوله صلى الله عليه وسلم وترسل الأمانة والرحم معناه تقوم الأمانة والرحم في صورة شخصين فتقفان على حافتي الصراط تشهدان لمن قام بحقهما وعلى من لم يقم به وذلك لعظم امرهما...

الحوض المورود

ونعتقد ان الحوض المورود حوض الرسول صلى الله عليه وسلم يرد عليه مع امته، روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((حوضي مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ ابدا)) [208].

[206] رواه مسلم جـ3/71 - 75 بهامش النووي.

[207] فمن قوله تعالى {وان منكم الا واردها} ان الكل يمر على الصراط لكن المتقين يخلصون من السقوط في النار والظالمون يسقطون فيها.

[208] روي هذا الحديث عن اكثر من صحابي ومن اكثر من طريق. انظر البخاري جـ 8/562 جـ11/408 وما بعدها بهامش فتح الباري ومسلم جـ 3/135 جـ 4/113 جـ 15/161 وابو داود جـ 4/237 رقم 4747 والترمذي جـ 3/299 بهامش التحفة ط الهند. واحمد جـ 2/162/163/199 جـ 3/26 وابن حبان 646 رقم 2600 ، 2601 ، 2602 ، 2603 ، 2604 ، 2605. والبيهقي في البعث والنشور 25 - 26 وما بعدها مخطوط. وراه البزار والطبراني في الاوسط مجمع الزوائد جـ 10/360 وما بعدها واحمد جـ 3/102/220.

الخلود للمؤمنين في الجنة وللكافرين في النار

ونعتقد ان الكافرين مخلدون في جهنم وان المؤمنين مخلدون في الجنة، لكن المطيعين بدون العذاب والعصاة غير المعفويين بعد تعذيبهم بقدر الاستحقاق، لما ثبت انه يخرج من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان..

وان الله تعالى يثيب المطيعين فضلا ورحمة، والا فاعمالنا لاتكافىء الجنة ونعيمها، فان الاعمال مغشوشة ناقصة والدرجات كاملة خالصة والاعمال مقدار محدود والنعيم مؤبد غير محدود وفوق الجنة ونعيمها لقاء الله تعالى فيها، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [209] وإن القصاص والانتقام من الكفار والاشرار عدالة وحكمة لان اعتقاد الكفر جناية بلا نهاية والاعمال الفاسدة زائدة على تلك الجناية وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يغْفِرُ أَنْ يشْرَكَ بِهِ وَيغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يشَاءُ﴾ [210]. عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من كانت عنده مظلمة لاخيه فليتحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قَبلِ أن يؤخذ لأخيه من حًسناته، فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات أخيه

---

[209] آية (26) سورة يونس.

[210] آية (48) سورة النساء.

فطرحت عليه)) [211]رواه الشيخان.

وهذا الانتقام كما ينفذ على عقلاء المكلفين ينفذ على البهائم، اذ ثبت انه ((يقاد من الشاة القرناء للشاة الجلحاء)) [212]، ونعتقد أن سقر دار العذاب وعليها من الزبانية تسعة عشر.

وقد ذكر بعض في سر ذلك العدد انه عدد اصول الذنوب، وان الجنة لها خزنة واسم رئيسهم رضوان كما أن اسم رئيس زبانية سقر مالك قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يا مَالِكُ لِيقْضِ عَلَينَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [213].

<105>

---

[211] رواه البخاري جــ 5/73 بهامش الفتح حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا ابن أبي ذئب حدثنا سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه مسلم من وجه آخر بمعناه وهو اوضح سياقا من هذا اللفظ. حدثنا قتيبة بن سعيد وعلي بن حُجْر قالا حدثنا اسماعيل عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه. ولفظه [أتدرون ما المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال : إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار]. مسلم جـ 16/135/136 بهامش النووي. واحمد جــ 2/453/506 من طريق ابن أبي ذئب عن سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه ومن الوجه الذي ذكره مسلم اخرجه الترمذي جـ 3/291 بهامش التحفة ط الهند.

[212] رواه احمد جـ 1/72 من طريق ، حدثني عباس بن محمد ... وابو يحيى البزار قالا ثنا حجاج بن نصير ثنا شعبة عن العوام بن مراجم من بني قيس بن ثعلبة عن أبي عثمان النهدي عن عثمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [ان الجماء لتقص من القرناء يوم القيامة]. ومن طريق عبد الصمد حدثنا حماد عن واصل عن يحيى بن عقيل عن أبي هريرة رضي الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [يقتص الخلق بعضهم من بعض حتى الجماء من القرناء والذرة من الذرة] جـ 2/363 ، ورواه ايضا من طريق آخر بلفظ آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه . [حتى يُقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ....]. جـ 2/235.

[213] آية (77) سورة الزخرف.

اهل الفترة ناجحون

ونعتقد أن اهل الفترة كما[214] بين سيدنا اسماعيل عليه السلام وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من العهد الأخير الذين لم تبلغهم الشريعة غافلون عن التكليف، قال تعالى خطابا للحبيب الاكرم صلى الله عليه وسلم: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آَبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [215] فلا يعذبون لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [216].

وان الذين يضلون العباد الضعفاء يجزون مضاعفة لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آَتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [217] ولقوله صلى الله عليه وسلم ((من سن سنة حسنة فله اجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة)) [218].

---

[214] الكاف اشارة الي كل قوم لم يبلغهم نداء الرسل للايمان في اي عصر كان كما قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى.

[215] آية (6) سورة يس.

[216] آية (15) سورة الاسراء.

[217] آية (67 - 68) سورة الاحزاب.

[218] اخرجه مسلم من طريق المنذر بن جرير عن ابيه من حديث طويل بلفظ [.. من سن في الإسلام سنة حسنةً فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شي، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من اوزارهم شي] جـ 7/103/104 ومن طريق عبد الرحمن بن هلال العبسي عن جرير بن عبد الله - أي البجلي - جـ 7/104/105. ولم يروه البخاري وانما ترجم له ترجمة فقال : [باب إثم من دعا إلى ضلالة وسن سنة سيئة]، جـ 13/256 بهامش فتح الباري. ومن طريق مسلم الأول رواه النسائي بلفظ [من غير أن ينقص من أجورهم شيئا] في المرتين.جـ 5/75/76. وابن ماجة جـ 1/74 رقم 203 واحمد جـ 4/357/358 . ومن طريق عبد الرحمن المتقدم رواه الدارمي جـ 1/131.ومن طريق اخر عن جرير رواه احمد جـ 4/360 ومن طريق شقيق عن جرير رواه الدارمي جـ 1/130 ومن طريق أبي وائل عنه رواه احمد جـ 4/361 وهناك طريق اخر والفاظ مختلفة ولكنها متقاربة جدا.

الجنة والنار موجودتان الآن

ونعتقد أن الجنة والنار موجودتان الآن، وذلك لادلة:

الأول: النصوص الدالة بظواهرها على وجودهما، كقوله تعالى:
﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [219] ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [220] ولا مانع من اعداد منازل للنازلين قبل ورودهم، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [221].

<107>

[219] آية (133) سورة آل عمران.
[220] آية (24) سورة البقرة.
[221] آية (13 - 14 - 15) سورة النجم.

الثاني الحديث الوارد في موضوع صلاة الكسوف الذي جاء في صحيح البخاري قالوا يارسول الله: رأيناك تناولت شيئا في مقامك ثم رأيناك كعكعت -اي تأخرت- قال صلى الله عليه وسلم: ((اني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو اصبته لاكلتم منه مابقيت الدنيا، واريت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع)) [222]. ولا شبهة في أن رؤيته صلى الله عليه وسلم لهما كانت رؤية حقيقية لمنزلين موجودين.

الثالث: قضية اسكان آدم وزوجه في الجنة، ومذهب الجمهور أن هذه الجنة هي دار الثواب، ودليل ذلك أن الألف واللام في لفظ (الجنة) لا يفيدان العموم، لان سكون جميع الجنان محال، فلابد من صرفها الى المعهود السابق. والجنة التي هي المعهودة المعلومة بين المسلمين هي دار الثواب فوجب صرف اللفظ اليها.

ويؤيد ذلك ما يستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ [223] فان ظاهرها أنها مكان ليس فيها العوارض العارضة على البشر من الجوع والعرى وكذا لا حرارة فيها تسبب العطش ولا اثر لبروز الشمس فيه بحيث توجب الملال وما رأينا ولا تسمعنا بوجود بقعة في الأرض تتحقق فيها تلك الأحوال، والله اعلم..

<108>

---

[222] رواه البخاري من طريق مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما وهو حديث طويل في صلاة الكسوف. جـ 2/447. وابو داود بنفس الطريق إلا انه ذكر مقدمة الحدية. [خسفت فصلى رسول الله صلي الله عليه وسلم ...] جـ 1/309/1189. سنن ابي داود. ورواه مسلم من طريق آخر عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، بالفاظ قريبة منه جـ 5/207 بهامش النووي.

[223] آية (118 - 119) سورة طه.

ونعتقد أن الجنة دار الثواب للمطيعين وان الجحيم دار العقاب للكافرين والعصاة من الكلفين، وان مكانهما لم يرد في تعيينه نص صريح لكن الظاهر من الكتاب والسنة أن الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [224]، وما روي عن عبادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((في الجنة: مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس اعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش، فاذا سئلتم الله فسلوه الفردوس)) [225] رواه الترمذي والبخاري. ومعلوم أن مكانا كذلك لاتسعه الأرض ولا اجواف السماوات

---

[224] آية (13 - 14 - 15) سورة النجم.

[225] رواه البخاري من طريق فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [من آمن بالله ورسوله واقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله ان يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها] قالوا يا رسول الله أفلا نبئ الناس بذلك؟ قال صلى الله عليه وسلم : [إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فسلوه الفردوس فانه اوسط الجنة وأعلى الجنة ...] جـ 13/349 جـــ 6 /9. ورواه أحمد من الطريق نفسه إلا أنه قال : عن هلال بن على عن عبد الرحمن بن ابي عمرة عن ابي هريرة بدل عطاء بن يسار ، قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر: وهو وهم من فليح حال تحديثه لأبي عامر - اي لأبي عامر عن فلح - فابدل عطاء بعبد الرحمن. انظر فتح الباري جـ6/9 ومسند احمد جـــ 2/335 . ورواه احمد من طريق محمد بن جحادة عن عطاء عن ابي هريرة رضي عنه جـ 2/292 والترمذي جــ 3/325 بهامش التحفة بلفظ [الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائه عام]. ورواه الترمذي من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل بنفس لفظ البخاري جـ 3/325 بهامش تحفة الأحوذي ط الهند. وابن ماجة جـ 2/1448 وللتوفيق بين الروايات راجع فتح الباري جـ 13/350.

فيكون فوقها، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [226] وما رويناه من حديث الكسوف يناسب التقارب بين محل الجنة والنار، والله اعلم بحقيقة الحال.

واما اوصاف جهنم فقد قال تعالى في ذكرها: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [227] وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى * تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [228] وقال: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾ [229] والآيات في فطاعه عذاب النار وشدتها كثيرة غنية عن البيان.

وعن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه انه قال وهو يخطب: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ان اهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع في اخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه)) [230].

---

[226] آية (133) سورة آل عمران.

[227] آية (44) سورة الحجر.

[228] آية (14 - 15 - 16) سورة المعارج.

[229] آية (31 - 32) سورة المرسلات.

[230] رواه البخاري ومسلم وأحمد من طريق شعبة قال سمعت ابا اسحق قال سمعت النعمان بن بشير سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جــ 11/372. بهامش فتح الباري ومسلم جــ 3/85 بهامش النووي واحمد جـ 4/271 واللفظ المذكور لمسلم ولفظ البخاري [توضع جمرة] ولفظ احمد [يجعل في اخمص قدميه نعلان من نار..]. ورواه احمد بمثل لفظ مسلم وبنفس الطريق جـ 4/274. ورواه مسلم من طريق الأعمش به وبلفظ [ان اهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا). جـ 3/84.
ورواه البخاري من رواية اسرائيل عن ابي اسحق عن النعمان بلفظ [.. رجل على اخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم]. جـ 11/373 بهامش الفتح، والقمقم : اناء من نحاس ضيق الفتحة يُغلى به الماء. ومن طريق ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ [... من عليه نعلان يغلي منهما دماغه] رواه أحمد جـ 2/274 والدارمي لكن بلفظ [له]. جـ 2/340 ورواه مسلم من طريق يحيى بن أبي بكير حدثنا زهير بن محمد عن سُهيل ابن ابي صالح عن النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري . بلفظ [إن أدنى اهل ... يغلي دماغه من حرارة نعليه]. جـ 3/85 بهامش النووي وعن ابن عباس من طريق عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أبي عثمان النهدي عنه. بلفظ [إن أهون أهل النار ابو طالب وهو منتعل

بنعلين ...] جـ 3/85 مسلم. ورواه ابن حبان من رواية الليث بن سعد عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ الدارمي المتقدم. 650 رقم 2617 موارد الظمآن.

واما اوصاف الجنة. فقد قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [231] وقال صلى الله عليه وسلم: ((فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)) [232].

<111>

---

[231] آية (71) سورة الزخرف.

[232] رواه البخاري ومسلم من طريق سفيان حدثنا ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : قال الله : [اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر، فاقرؤا ان شئتم، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من فترة أعين] جـ 6/230 بهامش الفتح ومسلم جـ 17/165/166 بهامش النووي ورواه مسلم من وجه آخر عن أبي الزناد بلفظ قال الله عز وجل : [ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعكم عليه] . جـ 17/166 ورواه مسلم وأحمد جـ 5/334 طريق ابن وهب حدثني أبو صخر أن أبا حازم حدثه قال : سمعت سهل بن سعد الساعدي يقول : مع اختلاف يسير جدا. ومن طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه . رواه مسلم جـ 17/166 وابن ماجة جـ 2/1447 رقم 4328 ورواه مسلم من طريق ابن نُمير به. جـ 17/166. ورواه الدرامي من طريق آخر جـ 2/335 ومسلم من وجه آخر عن ابي الزناد عن ابي هريرة رضي الله عنه. جـ 17/166.

وكفى في وصفها انه لا لغو فيها ولا تأثيم ولا مرض ولا حزن ولا خوف ولا مايزعج الانسان ولا ملال من الاقلال وفيها مايطلبه الانسان من الجمال.

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((ان اهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون)) قالوا: فما بال الطعام؟ قال: ((جشاء كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النَّفَسَ)) [233].

واما ابوابها فثمانية، عن سهل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((في الجنة ثمانية ابواب فيها باب يسمى الريان لايدخله الا الصائمون..)) [234] واما

[233] رواه مسلم من طرق متعددة وبلفظ [يُلْهَمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس] وفي رواية [التسبيح والتحميد والتكبير]. من طريق جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر ومن طريق أبي معاوية عنه ، ومن طرق اخرى وكذلك رواه الدارمي من طريق آخر بلفظ [يلهمون التسبيح والحمد كما يُلهمون النفس]. جـ 2/335. ورواه البخاري بغير هذه الألفاظ من حديث: [اول زمرة تدخل الجنة .... لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون] الى هنا جـ 6/230/260 بهامش فتح الباري.

[234] رواه البخاري من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخله منه أحد غيرهم .....] جـ 4/95 فتح الباري ورواه من نفس هذا الوجه جـ 6/235 باللفظ الذي في اصل الكتاب ورواه مسلم جـ 7/32 بهامش النووي وابن ماجة جـ 1/525/1640. والدارمي من طريق آخر ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن ايوب عن ابي رافع عن ابي هريرة جـ 2/332 رواه من غير ذكر اسم باب الريان والصائمين. ورواه أحمد من طريق آخر من غير ذكر الصائمين واسم الباب جـ5/325 وروى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إذا كان يوم القيامة دعي الانسان باكثر عمله، فان كانت الصلاة أفضل دعي بها، وان كان صيامه دعي به ، وان كان الجهاد دعي به، ثم يأتي بابا من أبواب الجنة يقال له الريان يدعي منه الصائمون]، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله : أثم أحد يُدعى بعملين ؟ قال : [نعم أنت]. مجمع الزوائد قال الحافظ نور الدين الهيثمي :إسناده حسن.

انهارها فقد قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [235] الآية.

واما ثمار شجراتها وظلالها فدائم فقد قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [236] واما نصيب اهل الجنة من الجنان فقد قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [237] وما صفاء القصور فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق او المغرب لتفاضل مابينهم))...

<113>

---

[235] آية (35) سورة محمد صلي الله عليه وسلم.

[236] آية (15) سورة الرعد.

[237] آية (46) سورة الرحمن.

قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال صلى الله عليه وسلم: ((بلى والذي نفسي بيده رجال آمنو بالله وصدقوا المرسلين)).[238] رواه الشيخان والترمذي.

الكوثر

واما الكوثر فهو نهر مختص بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فعن أنس رضي الله عنه قال: سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فقال صلى الله عليه وسلم: ((ذاك نهر اعطانيه الله عز وجل في الجنة أشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طيور اعناقها كأعناق الجزر)). قال: عمر ان هذه لناعمة، قال رسول الله: ((أكلتها أنعم منها)) [239].

[238] رواه البخاري جـ 6/233 من رواية عبد العزيز قال حدثني مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. ومسلم جـ 17/169 من رواية أبن وهب أخبرني مالك بن أنس عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد. ومن رواية فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه جـ 3/335 بهامش تحفة الاحوذي ط الهند واحمد جـ 2/335/339 وابن حيان من رواية ايوب بن سويد حدثنا مالك عن أبي حازم عن سهل بن سعد. موارد الظمان (656) 2640 وليس فيه من الوهم شيء كما قال الدرقطني بل له أصل من حديث سهل عند مسلم جـ 17/168/169. بهامش النووي ، وذكره ابن حيان من رواية بشر بن الفضل عن عبد الرحمن بن اسحاق عن أبي حازم. (2641). موارد الظمآن. وذكره الدارمي من رواية مسلم بن ابراهيم وهيب ثنا أبو حازم عن سهل . جـ2/336.

[239] روي هذا الحديث من طرق وبالفاظ متعددة انظر البخاري جـ 8/562/563. بهامش الفتح ومسلم جـ 3/112/113/ بهامش النووي والترمذي جـ 3/299 بهامش تحفة الاحوذي ط الهند والدارمي جـ 2/336. وابن حبان (646) رقم 2600 وما بعدها واحمد جـ 6/281. واللفظ المذكور ذكره الإمام أحمد في مسنده جـ 2/220 فقال عمر رضي الله عنه :..... وذكر من طريق آخر جـ2/236 فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله : انها لناعمة ....
هذا واحاديث الحوض مع طرقها والكلام عن طرقها وسندها قد يبلغ عشرات الصفحات من القطع المتوسط.

وانعم من ذلك كله صحبة الاحباب وزيارة الأصدقاء والامان من الآفات وعروض الممات والابتلاء بالمعاصي والسيئات وانتفاء الهموم والحسرات وتيقن الخلود في تلك الجنات مع الامل بالتمكين ووفود الحور العين والخلاص من مكائد الشيطان اللعين والاستغراق في اللذة الروحية بالأنس بالله تعالى ابد الابدين.

الرؤية

وفوق كل ذلك لقاء الله تعالى في الجنة والتشرف برؤيته تعالى، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [240] وقال: ((هل تضامون[241] في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا قال انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر)) [242] وكما انها ثابتة نقلا فكذلك جائزة عقلا، اذ لابد للمعلول المشترك من علة مشتركة، ولما علمنا أنه يرى الجواهر والاعراض على اختلاف اصنافها علمنا أن العلة القابلة لهذه الرؤية ليست الجوهرية فقط ولا العرضية، بل هي الموجودية والوجود كما يتحقق في الجواهر والأعراض يتحقق في الباري سبحانه وتعالى فيرى ذلك كما ترى هذه، والآيات التي تدل على عدم رؤيته تعالى كقوله الكريم: ﴿لَا تُدْرِكُهُ * الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [243] محمولة على الرؤية المستوعبة او الكاشفة بالوجه الكامل او على الرؤية في هذه الدنيا او على رؤية الكفار له تعالى للجميع بين الادلة، ولقوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [244].

---

[240] آية (22 - 23) سورة القيامة

[241] ورد هذا الهامش في المخطوط "هذه الصيغة جمع المذكر المخاطب من باب التفاعل بحذف احدى التائين وفتح الميم اي تشكون".

[242] رواه البخري جـ 13/356 جـ 11/387 جـ 2/27/43 جـ 8/458 بهامش الفتح ومسلم 3/25 وما بعدها بهامش النووي والترمذي جـ 3/333 بهامش التحفة ط الهند. وابن ماجة 1/63 رقم 178 179 .... والدارمي جـ 2/326 وابو داود جـ 4/233/4729 واحمد جـ 2/293/296/534 جـ 3/16/17 والحاكم المستدرك 4/582 وانظر مجمع الزوائد جـ 10/421 والطبراني جـ 2/296/2234 المعجم الكبير بنفس الطريق الذي ذكر ابو داود الا أن أبا داود ذكره بلفظ [لا تضامون]. أي لا تجتمعون، وبالتخفيف أي لا تظلمون فيراه بعضكم دون بعض فانكم ترونه في جهاتكم كلها، وهو تعالى متعال عن الجهة، والتشبيه برؤية القمر للرؤية دون المرئي، تعالى الله عن ذلك. راجع فتح الباري جـ 13/357.

[243] آية (103) سورة الأنعام.

[244] آية (15) سورة المطففين

ودعوى وجوب تحقق شرائط الرؤية من المقابلة والمسافة المعتدلة وانطباع صورة المرئي في الرائي وغيرها شرائطها في الشاهد وقياس الغائب عليه قياس مع الفارق، فلعل شرائط الادراك البصري في ذلك العالم الباقي غير شرائطه هنا ألاترى، ان حياته تعالى وعلمه وسائر صفاته ليست على نظام تلك الصفات في الشاهد، فلا تحتاج حياته الى ماتحتاج اليه حياتنا ولا علمه وقدرته وسمعه وبصره وكلامه الى الشرائط المقررة لها عندنا، مع أن تلك الصفات موجودة له بلا شبهة..

ويجب أن نعتقد بان نعمة لقاء الباري تعالي في الجنة أعظم نعمة في عالم الوجود واكبر سعادة فيه، رزقنا الله تعالى ذلك بفضله انه جواد كريم ورؤوف رحيم.

<116>

خاتمة

مما يجب على الانسان الرشيد ان يعتقد أن عالم الاخرة مغاير لعالم الدنيا فلا مجال للمقايسة بينهما، فان هذا العالم عالم الفناء وذلك عالم البقاء، هذا عالم مؤقت محدود وذلك عالم مؤبد موصوف بالخلود، وهذا العالم مضيء بالشمس والقمر والنجوم والمصابيح المتحركة الغير الثابتة وذلك العالم يستنير بنور الله تعالى، اي بنور يخلقه الله تعالى الى الابد كما قال: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [245] وهذا العالم مع ان الحياة فيه مؤقتة، كذلك ممزوج بالامراض والاسقام والوفيات والمفارقات والاحزان وخوف الأعداء وتفاقم المحنة والبلاء، وعالم الأخرة بريء عن كل ذلك، فليس فيه الا الراحة والاطمئنان وفراغ الجنان والفراغ من كل اذي يأتي على الانسان، حتى أن الأكل والشرب في هذا العالم يعود على الانسان وبالأ ويورث الانسان وجعا وملالاً، وعالم الاخرة يحول الغذاء والشراب الى ما يفيد اللذة والارتياح وافرازات الانسان تكون برشحات عرق كعطور الريحان، وفي ذلك العالم الوصول الى الاحباب بلا تعب ولا نصب حسب الارادة، وليس فيه مانع عن المستحبات النفسية حسب العادة، ثم القوى المادية تختلف في العالمين فان مادة الانسان عاجزة عن البقاء فوق المعتاد ولكنها في الآخرة تبقى خالدة قوية، لأن القرآن حاكم بخلود أهل الجنة وبخلود النعيم والثمرات

<117>

---

[245] آية (69) سورة الزمر.

فيقول: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [246] وأن رؤية الانسان لغيره محدودة المسافة وشرائطها واجبة وكذلك صوته، ولكنه في الآخرة يرى أصحاب الجنة اصحاب النار وبالعكس، كما انه يصل صوته الى من يناديه مع بعد المسافة، وكذلك التزاور بين اهل الجنة مع الفرق بين درجات اهلها بمسافات، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [247] واهل الجنة طلقاء في العالم ويصل كالبرق بعضهم إلى بعض، كما يظهر من مرور المسلمين على الصراط حسب قوله صلى الله عليه وسلم: ((ومنهم من يمر كالبرق الخاطف)) [248] فلا يقاس ذلك العالم واهله على هذا العالم واهله، ولا مناسبة بين العالمين، وذلك كله ظاهر عند من يؤمن بالآيات والاحاديث الواردة في البحث عن اللذات والراحة لاهل الجنة وعن قابلية الابدان للعذاب في النار، والعياذ بالله، فلكل من العالمين قواميس وقواعد غير ما للعالم الاخر.

فارض المحشر اذا كانت هذه الأرض يمكن وصول أهلها الى الجنة فان قوة الجوانب تعمل حسب ارادة الباري فلا يبقى فرق بين السموات وما فوقها والارض وما تحت الثرى وكل ذلك من نفوذ قوة الباري تعالى.

فرغت انامللي بلطف الله المنان من تحرير نور الإيمان عند اذان العصر يوم الاثنين الرابع والعشرين من جمادى الثانية سنة الف واربعمائة وسبع هجرية في غرفة تدريس جامع حضرة سيدنا الشيخ عبدالقادر الكيلاني نور الله روحه ونفعنا ببركاته آمين وانا الخادم للعلم واهله عبدالكريم ابن محمد ابن فتاح الكردي الشهرزوري المنسوب الى عشيرة القاضي القاطنة بمركز ناحية شهرزور المشهور بناحية السيد صادق البرزنجي رحمه الله تعالى

23/2/1987 عبدالكريم المدرس 24/6/1407

---

[246] آية (35) سورة الرعد.

[247] آية (69) سورة النساء.

[248] تقدم ذكره.